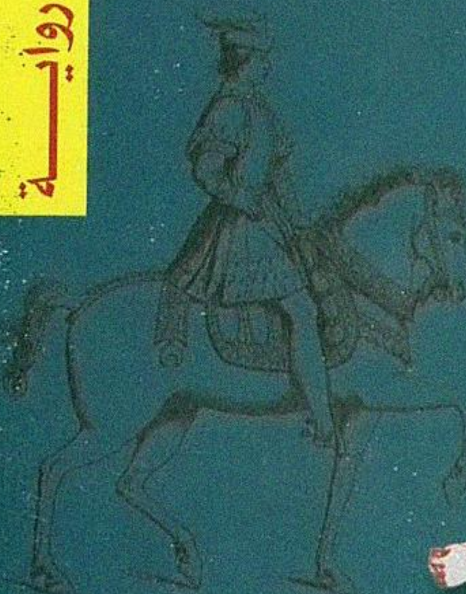
المجلس الأعلى للثقافة

الأمير احتجاب

رواية

المشروع القومي للترجمة





تأليف: هوشنك كلشيري

ترجمة: سليم عبد الأمير حمدان

585

المشروع القومى للترجمة

الأمير احتجاب

روايـــة

تأليف : هُوْشَنْك كُلْشِيرى

ترجمة : سليم عبد الأمير حمدان

المجلس الأعلى للثقافة

٢٠٠٤

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٥٨٥
- الأمير احتجاب
- هُوْشَنْك كُلْشِيرى
- سليم عبد الأمير حمدان
- الطبعة الأولى ٢٠٠٤

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 **Fax :** 7358084

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

الأمير احتجاب

تقديم المترجم

ولد هُوْشَنْك گُلْشِيرى سنة ١٩٣٧ فى مدينة أصفهان، التى كانت عاصمة للدولة الصفوية ذات يوم، لأب عامل بناء ـ مع أنه كان ماهراً ـ إلا أن حياته اتسمت بالفقر نظراً لصعوبة الحصول على أعمال ولاتساع عائلته (ستة أطفال، ثم لحقهم سابع بعد الكاتب). وانتقلت العائلة فى طفولة هوشنكَ إلى آبادان(*) لتبقى فيها ثلاث عشرة سنة .

كان كاتب المستقبل يعمل، وأخوه، أثناء عطلاتهما الصيفية متكسبين لدعم العائلة .

أكمل هوشنك دراسته فى آبادان، التى يعتبر سنى حياته فيها فترة تشكيل حياته الفكرية. ولدى عودة العائلة إلى أصفهان فى سنة ١٩٥٥ ينصرف إلى المطالعة، وتحسين لغته الإنكليزية، ونظم الشعر؛ فقد بدأ شاعراً .

يقوده اندفاعه الأدبى، وبحثه عن النشاطات الإبداعية أثناء إقامته فى طهران ـ حيث اشتغل موظفًا فى مكتب تسجيل عقود ـ إلى جمعية أدبية تكون مفتاح ولوجه إلى حزب توده ـ وهو الحزب الشيوعى الإيرانى

(*) هى ما نسميها عبادان .

ـ مما عرضه إلى الاعتقال فى أواخر سنة ١٩٦٣ أو أوائل سنة ١٩٦٤ ولكن معايشته لأعضاء الحزب، الذين اعتقل معهم، تبعده عن الحزب بانطباعات مريرة .

ثم ينفصل مع مجموعة من الأدباء الشباب عن تلك الجمعية، التى كانت تضم شعراء كلاسيكيين، لينشئوا جمعية خاصة بهم، كانوا أول من أدخل، بوساطتها، "بدعة" قراءة القصة ونقدها فى جلسات عامة، ثم أصدروا مجلة متواضعة، وفى جلسات تلك الجمعية قرأ گُلشيرى أشهر أعماله، (الأمير احتجاب)، قسماً قسماً، وطوّره وأنضجه ثم أعطاه لأحد زملائه فى الجمعية ليعمل على نشره. وبلغ من غرابة الرواية وتعقيدها، حسب مقاييس تلك الأيام، أن نام الناشر وهو يقرؤها!

اعتُقل ثانية لمدة ستة أشهر فى سنة ١٩٧٤، دون أن يدرى لذلك سببا، ولكنه يرجح أن يكون السبب عودته إلى أصفهان وتجديد نشاطه فى جمعيتها الأدبية. وقد سمع لاحقًا أن بقايا الأمراء فى أصفهان اشتكوا من روايته لوزير البلاط، علَم، الذى قرر أن "يفركوا له أذنه"!

ومع أن المشكلة الكبرى التى نتجت عن اعتقاله ذاك كانت حرمانه من حقوقه المدنية، وبالتالى منعه من العمل الحكومى، لكنه تمكن من العمل محاضراً فى كلية الفنون الجميلة .

وإذ بدأ مع بعض أصدقائه فى النشاط لتأسيس "مركز كتّاب إيران" سنة ١٩٧٨، تلقى دعوة من "البرنامج العالمى للكتابة" لزيارة الولايات المتحدة، التى لم يعد منها إلى إيران إلا بعد عودة الخمينى، ظافرا، بشهر واحد، حيث اشتغل مدرسًا فى المدارس الثانوية ونشط فى

« مكتب الدراسات الثقافية » و« المركز المستقل للعاملين فى التعليم » . وأبان « الثورة الثقافية » فى ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ فصل من الخدمة !

* * *

كان گُلشيرى غزير الإنتاج، فقد أصدر تسعة عشر كتابًا تنوعت بين المجموعات القصصية والروايات والمسرحيات وسيناريوهات الأفلام والمقالة الأدبية والنقدية، إضافة إلى عدد من البحوث والمقالات والقصائد التى لم يضمها كتاب، وبقيت مبعثرة فى مجلات طهرانية وأصفهانية .

وقد ترجمت بعض أعماله إلى الفرنسية والألمانية والإنكليزية .

وترجمت قصص قصيرة منه إلى كثير من اللغات الأوروبية .

* * *

(الأمير احتجاب) أشهر أعمال كلشيرى، وقد طبعت حتى الآن عشر مرات، كانت آخرها بعد وفاته سنة ٢٠٠٠ . وتعرضت، شأنها شأن غيرها من الأعمال الكبيرة فى الأدب الإيرانى المعاصر، لأهواء الرقيب . فقد جرى إيقاف طبعتها التاسعة، مثلاً، بعد حصولها على إجازة الرقيب، فى مرحلة التجليد، لمدة تسع سنوات !

ومع أن ظاهر القصة يروى انحلال طبقة الأشراف، وهكذا فهمها بقايا أمراء أصفهان الذين اشتكوه إلى وزير البلاط فعمل على « تأديبه » ، إلا أن الكاتب يعتبرها « قصة مسخ البشر.. (بيان) ما يحدث لشخص عندما تضعه فى حدود سجن العائلة وتقطع كل ارتباطاته بالعالم فترى ما الذى يحدث جزءًا فجزءًا » .

وقد ترجمت هذه الرواية فى وقت مبكر إلى الإنكليزية ونشرت فى الولايات المتحدة، باسم "دم النبلاء".

* * *

لا يتعصب گلشيرى، فى لغته، لنقاوة اللغة الفارسية، ولا يبالى باستعمال اللغة الـ « دَرِيّة » ، وهى التى صارت لغة إيران منذ ما بعد الفتح الإسلامى. ولما كانت هذه اللغة تخلو من التذكير والتأنيث، حتى فى الضمائر، يمكن للقارئ أن يتصور الصعوبة التى سيواجهها قارئه فى لغته الأصلية، وخاصة فى رواية مثل هذه التى بين أيدينا، معتمدة على تيار الوعى والمونولوج الداخلى .

وأخيراً، أود أن أشير إلى مسألة تتعلق بلغة الكاتب فى هذه الرواية :

عند تحضير الكاتب لكتابة روايته هذه، انصرف إلى دراسة عصر آل قاجار، الذين حكموا إيران ما بين ١٧٨٦ ـ ١٩٢٥، عاداتٍ وتقاليد . ولغةً، فالأمير منهم، وحياته تمثل حيواتهم وموته يحكى فناءهم. واستغرق فى دراسته تلك حتى إنه يروى أنه تعلم بعض التعابير التى استخدمها فى الرواية، لكنه نسى ما تعنيه بعد فراغه منها .

ولكن المهم بالنسبة لنا أنه استخدم فارسية العصر القاجارى، وهى فارسية مشبعة بمفردات عربية، أخذت تدخلها مفردات فرنسية .

وقد حرصتُ على أن توحى الترجمة بلغة من هذا النوع .

كما أود أن أبين أن الفارسية تحوى أربعة حروف أكثر من حروفنا، هى :

پ : الباء المثلثة، وتلفظ كحرف P فى الإنجليزية .

چ : الجيم المثلثة أو الفارسية، وتلفظ كحرفى Ch فى الإنجليزية .

ژ : الزاى المثلثة، وتلفظ كحرف J فى الفرنسية .

گ : الكَاف (الجاف) الفارسية : وتلفظ كالجيم فى مصر مثلاً .

ولاختلاف اللفظ فى البلدان العربية، وصعوبة ضبط الأسماء التى ترد فيها هذه الحروف، فقد اتبعت الرسم العربى، وللقارئ أن يلفظ الأسماء التى يجدها أمامه على الطريقة الفارسية كما بينت أعلاه، كما أن له أن يلفظ حرف الواو المتحركة ـ فى الأسماء ـ كالفاء المثلثة: V .

كان الأمير احتجاب غائصًا فى هذا الكرسى ذاته وقد وضع جبينه الساخن على عمودى يده وراح يسعل. صعدت خادمته مرة ومرة زوجته. فتحت فخرى الباب حتى المنتصف، ولكن ما إن أرادت إن تدير مفتاح النور حتى سمعت دقة رجل الأمير فركضت نازلة. وجاءت فخر النساء أيضًا ومرة أخرى دق الأمير قدمه بالأرض.

فى أول الليل عندما لفّ الأمير داخل الزقاق، بين ظلال ما تحت الأشجار، رأى كرسيا ذا عجلات ، ومرادًا، الذى كان كما هو عجوزًا ومندعكًا، يتمدد فيه. ثم المرأة التى لم يكن يبدو من شادر[1] صلاتها غير عين واحدة .

ـ سلام .

وقالت المرأة أيضًا : سلام .

ـ مراد، ها أنت ذا مرة أخرى، أفلم أقل مائة مرة..؟

ـ حسن، يا عزيزى الأمير، أمورى لا تتصلح. عندما رأيت أنه ليس عندنا عشاء ليلة، قلت : يا حسنى، هاتى الكرسى، فلعل كرم الأمير يفعل شيئًا.

(١) غطاء رأس وبدن ، كالعباءة .

ومد الأمير يدا إلى جيبه ووضع بضعة تومانات[٢] فى يد حسنى . كان مراد قال :

- ليعطك الله عمرًا وعزًا، أيها الأمير .

وحسنى أيضًا : **ليعطك الله خيرًا .**

ودفعت الكرسى ذا العجلات وانطلق الأمير مضمخًا بالعرق، وإلى أن كان فتح الباب بمفتاحه بقى صوت العجلات فى أذنه .

مع كل هذا لم يكن الأمير احتجاب يخشى شيئًا . أعطى عصاه وقبعته بيد فخرى، قبَّل خد فخر النساء المزوَّق وصعد إلى أعلى . أغلق الباب، وهناك بالذات، فى الظلمة، جلس على كرسى راحته. وذهبت فخرى إلى المطبخ، ولكن لما رأت أن القلق لا يزايلها، صعدت إلى أعلى . عندما ارتفع دق أقدام الأمير فرّت وجاءت إلى غرفتها فجلست قبالة المرآة، أذنها منصتة إلى أدنى صوت من الغرفة العليا، إذ ربما ينتعش خلق الأمير فيهبط السلالم بخطوات موزونة وينادى :

- فخرى !

تضع فخرى عصابة الرأس المثلثة فى جيب مريلتها، تغير قميصها، تجلس أمام المرآة وتزوق وجهها سريعًا، تمشط شعرها وتذهب إلى غرفة الطعام فتجلس أمام الأمير، وهو يتناول عشاءه. وإما يصعد الأمير إلى فوق تجمع فخرى الأطباق وتغسلها، وتزوق فخر النساء نفسها وتدخل غرفة النوم لكى يظهر الأمير حوالى منتصف الليل ويقول خفيض الصوت :

(٢) وحدة نقد إيرانية ألغيت وبقى اسمها يطلق على كل عشرة من الريال الحالى . تبلغ قيمة التومان اليوم نحو واحد من ثمانمائة من الدولار الأمريكى .

ـ نائمة، يا فخر النساء؟..

ولكن الأمير احتجاب لم يكن عنده الليلة نشاطُ كل ليلة ويقظتها. جلس، ككرسي راحته، هادئًا. ويضغط أحيانًا فقط، عندما يخض السعال كتفيه، جبينه الساخن على كفي اليدين كي يتمكن أن يحس على نحو أفضل عروق جبهته، أو ينسى نظرات جده وجدته، وأبيه وأمه وعماته، وحتى فخر النساء، الشامتة تلك .

كان الأمير يفهم أن حمّى الأجداد إياها هى ما استولى عليه. ولكن قلبه لم يكن يطاوعه أن يسلم نفسه، مثل تلك الغرفة الواسعة التى خلت فى كل مكان من كل العتيقات، إلى السعال والحمى.

كانت رائحة العطن ملأت الغرفة. والسجادة تحت قدمه. وكل جسد الأمير لا يملأ غير زاوية من كرسى الأجداد ذاك. والأمير يحس صلابة الكرسي وثقله تحت بدنه. كان صوت الجداجد خيطا بلا انتهاء، شليلة ضائعة الرأس استمرت على عرض المساء بأكمله :

ربما كانت بين ثنايا علف الحديقة الوحشى، أو.. قلت: « **يا فخرى، ضمى هذه الستائر بإحكام. لا أريد أن أرى أيا من مصابيح الشارع اللعينة تلك** ». قالت فخرى : « **يا عزيزى الأمير، تفضل، فى الأقل، بالسماح لى أن أفتح النافذة كى يتغير هواء الغرفة قليلاً** » .

وصاح الأمير :

ـ أنت اخرسى . افعلى فقط ما أقوله .

كانت فخرى تشد مريلة. المكنسة فى يدها. بغطاء الرأس المورد ذاته والعينين السوداوين الحيتين إياهما وذلك الفم المفتوح نفسه. كان صف أسنانها الكبيرة، أبيض. قالت :

- إذن فتفضل بالسماح بأن أنظف أطر التصاوير هذه .

- لا، لا يلزم، أفهمت؟ ما عليك إلا أن تهتمى بتلك الغرف .

كم كان فم فخر النساء صغيراً! من الصغر بحيث أنها عندما تضحك لا يظهر إلا القليل من أسنانها البيضاء، تنظر من عل، من وراء زجاجتى النظارة السميكتين هاتين. لا ينكسر الخطان اللذان يقطعان عنقها فى أى وقت. كان الخطان يبلغان خطى الكتفين واليدين اللتين كانتا، ولم تكونا، وراء ثوب التُل الأبيض ذاك. قالت : **« أيها الأمير، كوِّمت هذه فوق بعضها كى يصير ماذا؟ لو ترتبها. أو تفضل فَمُر الخـ..»** وسحبت إصبعها الطويل والأبيض على عرف الحصان . كان الحصان أبيض مرقطًا بنقط بنية فاتحة . كان الخط يجتاز كل العرف حتى الذيل .

كانت فخر النساء واقفة قرب العربة ذات أربعة الخيول ، بذلك الثوب التُل الأبيض الذى تصير له ثنيات على صدرها ، وبعينيها اللتين تنظران من وراء زجاجتى النظارة الكبيرتين ، أو لا تنظران ، نفسهما. لكنها قالت :

- يا فخرى ، أعندك كبريت ؟

أخرجت فخرى من جيب مريلتها، وقالت :

- تفضلى .

قالت فخر النساء : **أنيرى أنت .**

أشارت إلى الثريات ، بتلك اليد التى كانت داخل الكم ذى الثنيات ذاتها، حتما. أنارت فخرى . أنارت شموع الثريات جميعًا. يا للنور! فخر النساء لا يطرف لها جفن ، حتما. قالت : « **أوقدى الشمعدانات أيضًا** » . وأشارت باليد ذاتها.. أو لم تشر. قلت: « **ما هذا العمل ، يا فخر النساء** » . قالت : « **ماذا هناك ، أيها الأمير؟** » . لم تكن عيناها مرئيتين. لم تكونا مرئيتين تمامًا فى أى وقت . كانت الشعلات ترتجف فى عدستى نظارتها. وضعت الكتاب الذى كان تحت إبطها على الرف . أخذت ذيل تنورتها بيدها . عبرت من فوق الأشياء الصغيرة ورفعت ساعة الجد الأكبر، فملأتها. ارتفع صوت التكتكة. ثم ملأت بعد ذلك أيضًا ساعة الجد والأب ثم ساعات الجيب . قالت : « **يا فخرى ، لماذا أنت واقفة؟ هيا ساعدى** » . ساعدت فخرى ، وأنا أيضًا. دقت ساعة الجد، بصوت مرتفع ومتقطع. جاء الفراشون . كانوا خمسة ، طوال القامات ، بشوارب مفتولة. وضعوا أياديهم على صدورهم تفخيمًا وعادوا. قالت فخر النساء : « **أتفضلت بالملاحظة ، أيها الأمير العزيز؟ هذه حتمًا أهداها القائم بالأعمال الروسى لحضرة الأنور الأقدس** » . ونظفت بإصبعها غبار حاشية أسفل الساعة . قلت : « **يا فخر النساء، إننى أزهق** » . كل تلك العقارب تتحرك فوق الصفحات . كان صوت تكتكتها مختلطا ومداوما. وجاء جنود بأيديهم البنادق أيضًا. ضحكت فخر النساء . دقت رجلها بالأرض وأدت تحية عسكرية . كانت النظارة قد وقعت على أنفها . كانت تضحك مرة أخرى . تبللت عيناها دمعًا، حتما. كانت تنحنى

وتضرب باليدين على فخذيها. كانت ضفيرتا شعر على صدرها. كان ثدياها مدورين . تضحك. يتعالى صوت ضحكها بين كل تلك التكتكة . ضحكت فخرى أيضاً. تحركت شفتاها السمينتان فقط .

كانت فخر النساء عابسة. كانت إحدى كؤوس الذهب فى يدها. انحنت وأمسكت بالكأس أمام عين الأمير:

- **انظر، أيها الأمير.**

نظر الأمير. كان على متن الكأس امرأة عارية، منسدلة الشعر. كانت تفاحة بيدها. كان غصن عنب فيه ورقتان يغطى ثدييها. كان الغبار مستقراً على بطنها وفخذيها. قالت فخر النساء :

- **عزيزتى يا فخرى، خذى اثنتين من هذه إلى المنضدة .**

قال الأمير: ولكن هذه..

- **أريد أن أرى كيف يكون طعم الشراب فى هذه .**

كان فى يدها مسدس. قالت : **مملوء؟**

قال الأمير: **لا أدرى .**

قالت فخر النساء : **هات أرِ، يا بنت .**

ومدت يدها فى جيب مريلة فخرى فأخرجت المنديل . نظفت الأسطوانة أولاً ثم... إذ قال الأمير:

- **لا تمسّى الزناد.**

قالت: **أخفت ، يا أمير؟**

عبس . كانت النظارة لا تزال على أنفها . وجهت الأسطوانة نحو الجدار ونظفتها ووضعتها أمام القنديل . ثم مدت يداً على الأسطوانتين وعلى صف الرصاص، واحدة واحدة . نظفت قرون الوعل . أمسكت نظارتها بيدها . كانت فخرى واقفة وراء ظهر سيدتها . كانت يداها فى جيبى مريلتها . التفتت فخر النساء ونظرت إلى الأمير :

ـ كان عمرها سبع عشرة سنة . تهيئة يد الجدة الكبيرة، حتماً .

وقالت بصوت عال وعلى نحو رجولى :

ـ لم نكن حتى ذلك الحين قد اصطدنا وعلا مثل ذلك . تحسنت حالنا فى الواقع. أعطوا الخدم ثلاثة شالات وحصانين كستنائيين مع ثلاثمائة تومان إنعاماً.

ضحكت . ضربت بإصبعها على الطاس البلور. كان الصوت المنكسر للبلور فى جو تلك التكتكة مثل جرعة ماء، أزرق بارداً . كان الصوت أعلى . والعقارب تزحف، بطيئة واثقة. تزحف على صدورها حتى تقترب من كل تلك الأرقام فيخرج الفراشون أو الجنود أو الراقصات. وابتلعت تكتكتها مرة أخرى ذلك الصوت المنكسر . ومرة أخرى نقرت فخر النساء، بإصبعها الطويل والأبيض ذاته. تدحرج صوت البلور فى وسط كل تلك الأصوات، ركض وارتفع، انتشر وتسيد على كل الأصوات . ثم لم يعد ثمة إلا صوت البلور الذى ينهار، الذى يتشظى فى التداوم غير المنتظم والسمج لكل تلك التكتكة. كانت الـ(قمات)[٣] والخوذ على المنضدة. وكان ثمة حاويات أقلام من صدف أيضاً . رفعت خوذة الجد الأكبر،

(٣) جمع : قمه ، وهى سلاح أقصر من السيف وأطول من الخنجر ، يكون عادة ذا حدين .

قالت : « **تقدم أر، أيها الأمير** » . قلت: « **أرجوك كفّى، لم يحل اليوم الثاني حتى بدأت؟**». وضعت الخوذة على رأسى حتى غطت عينىّ. انحنت فخر النساء . كانت النظارة على عينها، تنظر إلى من تحتها. قالت: «**لا يلائمك قطعًا، يا أمير. عسى ألا تكون قمر الدولة وناظر فلاحى الحدائق... ها؟ فلا توجد فيك حتى ذرة واحدة من جبروت الأجداد ذاك**» . قلت: « **ألا يكفى، يا فخر النساء؟** ». رفعت الخوذة ووضعتها على المنضدة. كانت الرفوف ملأى بالأشياء الصغيرة. ضربتها بالمنديل. عندما ارتفع الغبار تراجعت إلى وراء، قالت: « **أفمات هؤلاء الخدم والخادمات؟**» قلت: «**لقد أمرت بألا..**» كان المفتاح عندى. وضعت إصبعًا تحت ذقنى، رفعت رأسى. كان أصبعها طويلاً، مثل جسدها الذى كان بكل تلك البرودة وذلك البياض، طويلاً وبلا دم. كان ثدياها صغيرين ومدورين وشعرها ناعمًا. كانت قالت: « **إننى أحب الظلام، أيها الأمير. قبل أن تأتى إلى فوق السرير، تذكر أن تطفئ ذلك المصباح** » . نظرت إليها، نظرت إلىّ محدقة. كان إصبعها تحت ذقنى: « **أمرت، ها؟ إذن فلا يزال ثمة دم أجداد فيك** » . قلت: « **أمام فخرى فى الأقل...**» ضحكتْ : « **تخاف من فخرى، ها؟ إنها بنت وديعة، أيها الأمير**». مسدت بيدها على شعر فخرى . جمعت فخرى كتفيها. راحت تنظر إلى زهور السجادة ، حتمًا. قالت فخر النساء : « **عزيزتى يا فخرى ، غدًا عندما تنفضين هذه ، سأعلمك كيف ترتبينها جميعًا. إن ممسحة الباب هذه صغيرة جدًا. خذى الكتب إلى غرفتى** » . كنت قد جمعت الكتب فوق بعض ، جنب الجدار. مسحت فخر النساء بإصبعها على أحد الكتب ، قالت : « **سفرنامة**[٤]

(٤) كتاب رحلة ، تقرير سفر .

مازندران . طباعة حجرية . كم تعبت حتى حصلت على نسخة منه. ابى المرحوم من أجل أن يتمكن أن يلصق « بستًا[٥]» بفؤاده باع ما يملك وما لا يملك ، حتى كتبه . أما أنت..» وبإصبعها دفعت شعرى، الذى لا بد أنه تناثر على جبهتى، إلى وراء، وقالت: **« أريد أن أغصب كتبك ، موافق؟ ».**

كانت فخرى لا تزال واقفة جنب سيدتها. قالت :

- سيدتى العزيزة ، الشموع تدخن .

قالت: **أطفئيها، كلها.**

أطفأتها، واحدة واحدة. قالت فخر النساء :

- عزيزتى فخرى، طفّى مفتاح الكهرباء أيضًا. انتبهى ألا تتحركى من مكانك . انتبهى لتلك الزهريات، يا بنت .

لمست أصابع فخر النساء الباردة أذنى الأمير احتجاب، ثم انحناء خديه وحنكه ثم شفتيه. كانت قد أطبقت جفونها. ثم كانت تانك اليدان الخفيفتان على كتفى الأمير. مد الأمير يده. كان الجسم البارد والثقيل بين يديه. ضحكت فخر النساء . قالت :

- إنك متأخر جدًا، أيها الأمير. متى تريد أن تبدأ إذن ، ها؟

كان مسدس الجد، ثقيلاً وباردًا. كانت تكتكة الساعات التى لا تنتهى والمستمرة تملأ الغرفة ورائحة العطن ورائحة الشموع نصف المحترقة ورائحة فخر النساء التى كانت تقف فى الطرف الآخر، فى الظلمة. قال الأمير بصوت عال :

- ليتنى كنت فتحت النافذة حتى فى الأقل هذه الرائحة العطنة..

(٥) الـ (بست) الكمية التى تستعمل فى المرة الواحدة من الأفيون ، واللصق بالفؤاد كناية عن التناول : أكلاً أو شربًا أو تدخينًا .

وسعل. ولكنه كان يعرف أنه مهما سعل عاليا لا يستطيع أن يهز تلك الزجاجات الكبيرة، ذوات القطعة الواحدة، للأبواب والشبابيك . وسعل مرة أخرى .

كان الأمير احتجاب يعرف أنه ما من فائدة، أنه لا يستطيع، أن الجد سيبقى أبداً، مثل تصويره الأسود والأبيض هذا بالضبط: مثل جلد حشى تبنًا، سطح سيواصل حياته بعيداً عنه وعن كل تلك الكتب والتصاوير والروايات المتناقضة. ولكنه كان يريد أن يعرف، ولو من أجله هو وفخر النساء، وراء ذلك الجلد، وراء ظلال التصوير تلك أو بين سطور كل تلك الكتب... وقال بصوت مرتفع:

- ينبغي أن أفعل شيئًا.

وسعل. وبين كل فراشي الخلوة والخصيان والشطار أولئك، بين صيحات ابتعدوا، صيروا عميانًا[٦]، بين نساء الحرم والجوارى اللائى يتجمعن فى الحوض ويتصارعن أولئك.. عاريات؟ كان الجد الأكبر، حتماً، يضحك. وينبسط خاطره الأنور.. وينثر المسكوكات إنعامًا.. وتتحشد النساء والجوارى فوق بعضهن بعضًا، ويتحرك اللحم الحى والأبيض، يضحك، ينطوى باليد والرجل التى تبقى فى الخارج بين آن وآخر. عندما تنفك كومة اللحم كان الجد الأكبر ينثر الإنعام أيضًا. فى ذلك الجانب، وراء ذلك كله، كان الجد واقفًا. أم قاعداً؟ تخطيط مبهم عن طفل سمين وقصير أو طويل ونحيل بشعر كث أو.. والعينين؟ بسيف وغطاء رأس وجزمة وبريق أزرار. ومرّ بين وزرائه ومشاوريه. حاكم ولاية.. لا أدرى أيها. وربما إذا ما أتيحت فرصة ولم يجلس لتلقى التحيات ولم يأت رجال الدين كى يدعوا للذات المقدسة أو لم يتشرف الأمراء بتقبيل الأرجل..

(٦) نداء كان يطلقه خدم خصوصيون أمام مواكب الأعيان ، لا لمجرد التنبيه كى يتخذ المارة حذرهم من سنابك الخيل وعجلات العربات ، وإنما لكى يُبدوا شعائر الاحترام للموكب وصاحبه .

ـ إذا ما قلعوا عين عصفور، إلى أين يمكنه أن يطير؟

وسعل طويلاً وبامتداد. وأدرك أنه لا يتمكن فترك كي يبقى الجد كما كان تصويراً جالساً على تخت أو على ظهر جواد هادئ أو وراء كوم اللحم عديم الشكل والحي والضاحك .

ومسد الجد شاربه الكث بيده، سعل واهتز داخل إطار تصويره. عندما استقر الغبار، رأى الأمير اللون المرهق لوجه الجد وخطوط الجبهة العميقة تلك وطبقتين من لحم اللغد. نفض الجد الذرور عن كمه. كانت جاكتته الـ «سرداري»(٧) المطرزة بصور الشموس عديمة اللون. كان الخط المنعكس للتصوير لا يزال على الكتف اليسرى للجد. كانت خطوط يدى الجد ذات الظلال وعديمة اللون تتشكل. ولكن الأمير كان مرة أخرى غير مبال بالمرة كي ينهض ويقف أمامه، مثل تلك الأيام، واضعًا يده على صدره قائلاً على الدوام :

ـ نعم يا سيدى .

حدق بؤبؤان أسودان من بين طيات اللحم والحواجب الكثة والرمادية تلك إلى الأمير وإلى الجدران والمدفأة. واليد التي كانت الآن كومة من اللحم والأعصاب امتدت فرفعت العصا ذات القبضة الفضية عن حاشية الرف. نظف قبضتها بمنديله. كانت خطوط الشفتين لا تزال عديمة اللون. كان كرسى الجد فى أعلى الغرفة الرئيسة. نقّل اليهودى نظارته، أدار لسانه فى فمه، سحب حذاءيه على الأرض وبعينيه العمشاوين ألقى نظرة متهربة على كرسى الجد. وإما رأى الأمير أن

(٧) جاكتة تغطى حتى الركبتين ، مفتوحة الظهر ، كانت تستعمل فى عهد القاجاريين ولا تزال تستعمل على نطاق محدود اليوم .

الجد يذهب قارعًا عصاه نحو كرسيه، أراد أن يصيح: « **أيها اليهودى السيئ ، أمام الجد!»** ويرميه من الغرفة إلى الخارج. مسدِّ اليهودى لحيته الخفيفة :

- أيها الأمير العزيز، إن أركان هذا الكرسى مضعضعة. قسمًا بأمة اليهود أخشى أن يبقى على قلبى .

فقال الأمير: **صفيق، لو فهم الجد..**

- الآن إذا ما ظهر واحد من الحمير حمّالى المال، فهذا أمر آخر .

كان الأمير احتجاب يعرف أن ذلك اليهودى السيئ لا يستطيع أن يفهم أن الأمر صعب، أن المرء لا يستطيع، من أجل لا شىء، أن يبيع ذكرياته لخمسة عشر عامًا. ولكن الآن والجد جالس مرة أخرى على كرسى الأجداد ذاك ذاته والغرفة سباعية الأبواب بمجلسها الرئيسى وزجاج النوافذ والأبواب الملون وورود وأغصان زينة الجبس على الجدران وحتى قرطيها وكل تلك المرايا على أعمدة الجدران، تتشكل، ويصفّون الطاسات والصحون القديمة على الرفوف والثريات موقدة ونار المدفأة البديعة اللون تتألق، برائحة الخشب المعروفة عينها، كان يستطيع أن يقول للجد: « **تفضل بالتصديق أن كرسى جنابكم قيمته عندى أكثر من هذه الأموال، هذا الـ....»** وصاح الجد:

- أنت لم تترك حتى هذا؟

ورفع عصاه ذات القبضة الفضية كى يضرب مرة أخرى عقب حفيده. ولم يضرب وقال :

- صحيح أننى بعت الكثير من أراضىّ كى أسدد مصاريف ملعناتك، ولكن أنت، تف! بعتنى بعشرة آلاف تومان فقط .

أراد الأمير أن يقول: « **ولكننى سبق أن أوضحت ، أنا فقط..»** ولكن عندما يكون الجد لا يفهم أنه لم يعد ممكنًا ركوب تلك العربة والخبب فى

شوارع المدينة، أن الخيل والسائس والحوذى يريدون طعامًا وذلك العجوز الحوذى أيضًا يجب ألا يَحُسَّ الخيل بمفرده، ألا يقتطع من امرأته وأطفاله ويعطى الخيل. أو أن يغسل كل صباح تلك العربة العتيقة...

- تفضل ، يا حضرة الأمير احتجاب .

كان الحوذى قد أمسك قبعته البهلوية[8] العتيقة بيده، يده على صدره[9]، إلى أن انحنى على الأرض وأشار بقبعته إلى العربة. ذهل الأمير دفعة واحدة، إن ذؤابتى شارب مراد خان[10]، اللتين كانتا تتدليان طوال سنوات من جانبى فمه، تصلان إلى خديه.

- تفضل، أيها الأمير احتجاب .

ركب الأمير وألقى بنفسه على المقعد. وضع مراد خان قبعته على رأسه وجلس على المقعد الأمامى. ساق الخيل وعبر الشارع المغطى بالحصى فى وسط البستان عَدْوًا .

- يا مراد خان، سق أبطأ.

- لا تخف، أيها الأمير العزيز.

كانت العربة تجتاز الشوارع. يلتفت الناس وينظرون. ويرى الأمير احتجاب كيف يختلط البخار الساخن من أفواه الخيول وفم مراد خان

(٨) القبعة التى فرضتها رضا شاه ، مؤسس السلسلة البهلوية ، غطاء رأس موحدًا للرجال ، وهى تشبه القبعة العسكرية الفرنسية .

(٩) كناية عن الاحترام .

(١٠) لقب كان يطلق أساسًا على رؤساء القبائل والملاكين ، لكنه صار يستعمل لمجرد إبداء الاحترام الودى .

وكيف أقام مراد خان ظهره المحنى وراح يسوط الخيل. كانت حدوات الخيل تقعقع على إسفلت الشوارع .

ـ هش!

عند المفترق شد مراد خان لجام الخيل. ورأى الأمير أن مراد خان انحنى وسقط. لابد أن حوافر الخيل زلقت. وفوق ذلك الإسفلت المتجلد أيضًا . بالضبط بين أرجل الخيل وعجلات العربة سقط. مازالت العربة تُسحب على الأرض. لم يئن أصلاً. قال فقط :

ـ لا خوف عليّ، أيها الأمير. مازلت أقدر.

كان الأمير احتجاب الآن يهوى أن يوضح لجده لماذا طرد الخدم بالركلات واللكمات خارجًا، بمن فيهم مراد، وقال :

ـ من طقطقة عكازيه اللعينين لم نكن حتى نشرب الماء هنيًا.

صرخ الجد:

ـ وأنت يا ابن المحروق[11]، طردته كي يذهب فيجلس هنا وهناك ويقول إن الأمير الكبير، يعنى أنا، ما الذى لم أفعله، كيف أننى بيدى قتلت أمى السليطة، أننى ذهبت إلى باب منزل حجة الإسلام وكهف المؤمنين والمؤمنات وقلت لخدم السيد[12]: «قولوا له أن يأتى إلى الخارج». ذهب خدم السيد وجاؤوا وقالوا لى، للأمير الكبير: «يتفضل السيد بالقول إن كل من اعتصم جالسًا فى ظل توجهات السيد...» فضربت باستقامة فى صدور الخدم ودخلت إلى الحرم. زعقت النسوة اللائى كن يجلسن

(١١) شتيمة عامة ، لا تعنى شيئًا محددًا .

(١٢) أى : من نسل النبى (صلى الله عليه وسلم) .

حول الحوض وتراكضن إلى الغرف دخلت أمي السليطة إلى الغرفة. أغلقت الباب وألقت بنفسها وراء الباب وما أن قال خدم السيد: «يتفضل السيد بالقول..» حتى كسرت إحدى الزجاجات الملونة وأرحتها ببعض طلقات كي لا تعود ترتكب حماقة وتنطوي في ظل توجهات السيد...

وما أن أوشك الأمير أن يسأل: «يا جدي، لماذا ذهبتْ فاعتصمت في بيت السيد؟» حتى صاح جدي، الذي كان يتمشى بخطى طوالٍ داخل الغرفة ويدير العصا ذات القبضة الفضية حول يده :

ـ أنت، لماذا طردت مراد برجليه المكسورتين كي يذهب فيجلس هنا وهناك..؟

ـ لقد أوصيت فصنعوا له مقعدًا ذا عجلات. عندما ماتت زوجته تدبرت له امرأة، في شيخوخته، لعله يستقر في زاوية ما. ولكن، أفكان تاركًا؟ لا يحل الظهر حتى يأتي بكرسيه ذي العجلات إياه، فيعبر الشارع وسط البستان. ثم يصعد بمعونة حسني، زوجته، كل تلك السلالم إلى أعلى وعندما أسمع هسيس العجلات أعرف أنه جاء مرة أخرى كي يقول: «أيها الأمير العزيز، أعطاك غلام رضا خان عمره».

قال الجد: غلام رضا خان؟

قال الأمير: ألا تتذكره؟ ابن الحاج صمصام، حفيد فخر الزمان. كان ابن عمك النبيل. ذاك الذي لم يكن يأتي ليتشرف بلقياكم إلا في أيام الاستقبال العام. يلعب دائمًا بسلسلة ساعته. لم يكن يجرؤ على تدخين السجائر مقابل الأمير الكبير، أمامكم .

ـ آها!

ـ أصيب بالغنغرينة. انتفخ كل جسده، صـار وجهه بهـذا الحجم . لم يعد ممكنا معرفته رحمه الله، مات بصعوبة بالغة. كان مطروحًا فى السرير سنة كاملة .

هز الجد عصاه فى الهواء :

ـ وطردتَه من أجل هذا فقط، ها؟

ـ لا، لم يكن هذا وحده. عندما جلب خبر موت كل أولاد العم وبنات العم، لحًا وغير لح، أولاد الخالة وبنات الخالة لحًا وغير لح، وأبناء العمة وبنات العمة لحًا وغير لح، قلت: ارتحت. ولكن مرة أخرى فى الغد، قبل أذان الظهر، عاد للظهور. قلت: « يا مراد خان، لا أصابك التعب » .

قضم مراد خان شاربه وخلل شعر رأسه بيده :

ـ من لطفك، أيها الأمير العزيز..

كانت حسنى تقف وظهرها إلى العمود. لم يكن ظاهرًا منها غير عين واحدة .

قال الأمير:

ـ حسنًا؟

مسح مراد ساقيه بيده ولف سيجارته:

ـ أيها الأمير العزيز، أعندك خبر بأن الحاج تقى أعطاك عمره؟

نظر الأمير احتجاب إلى يديه. كانتا بيضاوين وصغيرتين :

ـ الحاج تقى؟

- كان عطّار جملة. كان عنده حانوت فى أدنى السويق. كان إنسانًا ورعًا، أيها الأمير. لا يترك صلاة الليل. قضى نحبه ليلة أمس على سجادة الصلاة، يا للراحة !

وقال الأمير: أتفضلت بالانتباه، يا جدى؟ حتى لو لم يمت أحد فإنه يأتى من الشارع نفسه والسلالم ذاتها، يلف سيجارة وينفتح باب قلبه:

- كنتُ من خيّالتهم. أسرجنا خيلنا وصالبنا بنادقنا على صدورنا. وأعطوا كل واحد منا صفّى رصاص. كان الأمير الكبير قد قال: «انتبهوا ألا تقتلوا الرعايا!» ذهبنا عنوًا إلى قرية جرنويه. أجلسنا بضعة خيالة فى المعابر كى لا يهرب عم أبيك. عندما هدأ بالنا من أنه لا يريد حربًا، ذهبنا إلى القرية. هناك أيضًا لم يكن ثمة أثر من حملة البنادق. صاح الأمير الكبير:"ولّوا!" ذهب الجميع إلى بيوتهم وأغلقوا الأبواب. ذهبنا نحن عدوًا إلى قلعة الأسياد. جاء عم أبيك لاستقبالنا. كانت يداه ترتجفان. كان فى يده بضع أوراق. يردد قائلاً: «يا أخى الأكبر، سندات الملكية هذه، هذه السندات. أنا لا أريد شيئًا. فقط تفضل بالسماح بأن أقيم فى هذه القرية مع زوجتى وأطفالى». قضم الأمير الكبير نؤابة شاربه. نزل عن حصانه وأعطانى اللجام بيدى. جلب الخيالة عم أبيك مجرجرين إياه إلى الغرفة. وجلبوا أطفاله وامرأته القروية أيضًا. قال الأمير الكبير: «كم جروًا عندك؟»

قال الجد: أنا لم أقل، كنت أدرى. قلت: بهذا التبكير صار لك ثلاثة أطفال، أيها القروى السيئ !

قال الأمير: كانت سندات الملكية فى يد عم أبى. وكان الأطفال أيضًا، حتمًا، ملتصقين بسروال أمهم. أمسك أحد الخيالة بيد زوجة عم

أبى. وضـربت أنت، بظاهر كـفك لطمت وجـه عم أبى الذى وقع من هذه الضربة على أرضية الغرفة. وتناثرت السندات أيضًا فى الغرفة. قيّد أحد الخـيـالة يديه ورجليـه. ووضـعت أنت وسـادة على وجـه عم أبى وجلست فوقها. كان مراد يقول هذا.

قال الجد: كان قد أرسل خبرًا: «هذه الأملاك إرثى أنا أيضًا من أبى. واحدة لك، واحدة لى». ابن امرأة قروية حافية معى، مع الأمير الكبير!

قال الأمير: قال مراد: «عندما ذهب صاحب السمو إلى الصيد، فى قرية جرنويه، تصيّغ[١٣] المرأة التافهة. ثم أرسلت المرأة خبرًا بأنها حبلى، ثم تنازل صاحب السمو للطفل عن بضع قرى».

قال الجد: كان قد تصيغها منذ شهر واحد فقط.

قال الأمير: قال مراد: «جلس الأمير على الوسادة وقال: سيجارة. لم أكن قد رأيت حتى ذلك اليوم الأمير الكبير يلامس بشفته سيجارة. فزعتُ. كانت يدى ترتجف. كان الخيالة يقفون حول الغرفة. بقى فم زوجة عم أبيك فاغرًا، لا تبكى. كان عم أبيك ما يزال يحشرج عندما لففت السيجارة وأعطيتها بيد الأمير الكبير. كان عم أبيك لا يزال يتحرك. أرّثت السيجارة. كان الأمير الكبير جالسًا على الوسادة ويدخن السيجارة ويلفظ دخانها من ثقبى أنفه خارجًا. كان عم أبيك يتلوى. أنا رأيت قدميه».

(١٣) أى تزوجها صيغة، أى زواج متعة، زواجًا مؤقتًا.

قلتُ: وماذا عن يديه؟ أدميتا؟

قال: لم أر.

قلت: أشدّوا الحبل بإحكام؟

قال: بالتأكيد.

قلت: وماذا عن الأطفال؟

قال: كانوا ابنتين وولدًا. كانت عيونهم سوداء، أيها الأمير.

قلت: أعرف هذا. ماذا كان الأطفال يفعلون؟

قال: لا أدرى، لم أر.

قلت: والجد؟

قال: قلت لك. كنت أنظر إلى الأمير الكبير فقط إذ هو جالس على الوسادة ويدخن السيجارة.

قلت: وماذا عن امرأة عم أبى؟

قال: أظنها بكت، ثم انقطع صوتها فجأة. ربما كان أحد الخيالة قد سد فمها.

قلت: أسدوا أفواه الأطفال أيضًا؟

قال: ربما.

قلت: وماذا عن جدى؟

قال: كان يجلس على الوسادة. عندما انتهت السيجارة أطفأ عقب السيجارة على يد عم أبيك ونهض وقال: «ألقوا بهم فى البئر» ألقينا عم أبيك أولاً.

قلت: **كم كان عمره؟**

قال: **حسب ظني كان عنده اثنتان وعشرون سنة.**

قلت: **وماذا بعد؟**

قال: **ثم ألقينا زوجته، وألقينا بالأطفال أيضًا إلى البئر ودلقنا الحجر فوقهم.**

قلت: **ثم ماذا جرى؟**

قال: **لا شيء، عندما كنا خارجين من قلعة الأسياد أطلق الأمير الكبير النار على أحد الرعايا. لأنه كان قد جاء إلى قلعة الأسياد.**

وكان الأمير احتجاب يرى جده جالسًا فى الكرسى المحفور المطعم بالجواهر إياه ، ويُخرج دخان السيجارة من أنفه وينفض رماد السيجارة فى منفضة مصنوعة بالفسيفساء. وترك حتى يبقى جده، مثل ذلك التصوير عينه، تحت غطاء ملابسه الرسمية. وسعل .

رتبت الجدة ثوب عرسها الطويل والأبيض وجمعته كى لا يتلوث بغبار إطار تصويرها. عندما هبطت إلى أسفل ورأت عدم اهتمام عزيز قلبها، حبة عينها، سوّت أولاً تجاعيد ثوبها، ثم رمقت الجد. كان الجد لا يزال يدخن السيجارة. والجدة، مع أنها كانت الآن شابة ونحيفة القوام، سعلت حسب عادة أيام الشيخوخة بضع سعلات صغيرة جافة. وكان الأمير احتجاب جالسًا على النحو ذاته ولم يرد أن ينهض ويسأل:

« هل تأذنين، يا جدتى، بأن أخبر الحكيم أبا نواس؟»

عندما رأى الأب ، الذى كان ما يزال يعدو على ذلك الحصان الكميت، خسرو، حتى أنه لم ينهض فيقبل يد الجدة، أوقف الحصان وقفز هابطًا . أكان مراد موجودًا أيضًا؟ وقرع الأب سوطه على ساق جزمته. كانت أزرار جاكتته تبرق. كان الأمير احتجاب لا يزال جالسًا. كان جبينه الساخن على راحتى يديه. استدار الحصان، ألقى نظرة، دق الأرض بحافره، صهل وشب على ساقيه. احتل عرفه كل إطار التصوير. مضى يخب واختفى وراء تلال التصوير. كان شريط الغبار والتراب ما يزال معلقًا فى حاشية التلال، وسط الهواء .

كان شاحب اللون. القبعة فى يده. تناثر شعره فوق جبينه. ثيابه مبللة مبللة. يعنى: أكان المطر بتلك الشدة؟ كانت كتفيتا الأب متهدلتين من كتفيه. جاء فى أول الليل. خرجت العمتان والجدة، اللائى كن تحلقن حول الجد، لدى إشارة من الجد. كانت العمة الكبرى قد أمسكت بكتفى الجد. قال الجد:

ـ حسنًا، قل .

أبعد الأب الشعر عن جبهته، نقل قبعته من يد إلى يد، اقتلع كتفيتيه ووضعهما فى جيبه:

ـ انتهى الأمر، قدمت استقالتى .

أمسك الجد العصا بإحكام، أدارها فى الهواء وضرب برأسها صدر الأب :

ـ حسنًا، حسنًا، والآن أيضًا يجب أن تخرج من هذه المخروبة حتى تهدأ الأمور.

نظر الأب إلى الأمير احتجاب، الذى كان يقف الآن عند قدمه، وأمسك بيد خسرو. كانت يد الأب باردة :

ـ لماذا؟ لقد كنت أعمل حسب أوامر.

ـ حسب أوامر؟ لماذا تركتهم إذن يعتبرونك مسؤولاً؟

ـ كانت عندى أوامر ألا أدع أحدًا! يجتاز ذلك الشارع.

سعل الجد. ظهرت العمة الكبرى. لم يرَ خسرو غير رأسها. كانت عينا العمة الكبرى بيضاوين بيضاوين. قال الجد:

ـ حسنًا، حسنًا.

ـ ثم فجأة ظهروا. كانوا بضعة آلاف نفر، ربما. لم أكن أرى إلا سواد رؤوسهم وأفواههم المفتوحة. كان فى أيدى بضعة متفرقين منهم هراوات. استولى علىّ الخوف.

مرة أخرى سعل الجد. كان رأس العصا الآن على الأرض. كان الجد متكئًا عليها. طار لونه. كان يعض ذؤابة شاربه. كانت يد الأب فى شعر خسرو.

ـ لم أكن أريد أن يحدث ما حدث. لم أكن أظن فى البدء أنه يمكن سحق الناس، وبهذه السهولة أيضًا. عندما انطلقوا جاء الموج. أيدٍ وهراوات وأفواه فاغرة. أصدرت الأمر: « أطلقوا عليهم الرشاشات.»

عندما ارتفع صوت العجلات والتروس والصلّى، استدار موج البشر. ابتعد سواد الرؤوس .

قال الجد: **فقط؟**

قال الأب: **أنا لم أنظر إلى ما وراء رأسى، ولكننى أظن أنه لم يبق وراء رؤوسنا غير الأيدى المقطوعة. وربما كانت العصى والهراوات باقية فى قبضاتها.**

مرة أخرى سعل الجد:

ـ حسنًا، وأنت الآن نادم؟

نظر إلى خسرو. ألصق الأمير احتجاب نفسه بساق أبيه. كانت يد الأب لا تزال فى شعر خسرو. قال الجد:

ـ أو أنك تخاف فقط أن يلقوا بك فى غيابة الجب؟

ولم يعطه السعال مجالاً. جاءت العمتان وحتى الجدة . كان الجد لا يزال يسعل. وكان الأب يقطع طول الغرفة الفوقانية ذهابًا ومجيئًا. كانت قبعته فى يده وكان يسحب سوطه على الأرض.

كان الأب وراء ذلك اللباس العسكرى ووراء الدخان الذى يخرجه من فمه حلقة حلقة ووراء أعين النساء السوداء المكحولة تلك أو وراء الأشجار. كانت الأشجار تغطى كل عرض الشارع المغطى بالحصى. فى البعيد كانت الظلمة تشتد. كانت الأغصان والأوراق منحنية فوق الشارع مثل سقف طاقى. ذلك السقف الطاقى الأخضر. رأى الأمير احتجاب، الذى أحس البرد ثانية، أن أباه كان يضرب مجدداً برأس حذائه الحصى

ويقترب، بخطى محسوبة، من الطاق الأخضر. كان خسرو يجلس على حاشية رصيف الشارع. من قدر ما أدار رأسه كى يتابع أباه آلمته رقبته. بقيت الكرة الحمراء - بيضاء فى يده. عندما كان الأب يأتى وبهذه الخطوات المحسوبة والطويلة نفسها يمر من أمامه كان يلقى بالكرة فى ساقية الماء. ثم ينحنى ، وفيما هو يعد خطى أبيه، يبحث بيده عن الكرة فيرى أن إحدى العمتين، بهذا القميص الأسود والطويل عينه، جاءت إلى قرب النافذة وراحت تنظر إلى أبيه.

كان قيشانى ساقية الماء أخضر وأبيض. عندما ارتفع صوت الباب انفتل الأب إلى أشجار حاشية الشارع. ذهب الخدم إلى الباب وعادوا ومرة أخرى كان فى أيديهم ورقة. كان الجد يأخذ الورقة بيده، حتماً، ينظر إليها ويصرخ: **«أولاد المحاريق! أفأنا جالس على كنز؟»**

كان صوت سعال الجد يأتى من الشبابيك. كان الجد فى الغرفة خماسية الأبواب. أمسكت العمة الكبرى ذيل تنورتها السوداء بيدها ونزلت السلالم :

- يا خسرو، أين أبوك؟

أشار الأمير احتجاب إلى الأشجار الكثيفة فى الجانب الآخر من الشارع. كانت العمة قد ركضت كل السلالم وطول الشارع إلى جنب الأمير. مضت العمة إلى ما بين الأشجار. ولم يعد خسرو مجبراً على إلقاء كرته فى الماء .

كان الأمير احتجاب يعرف أنه جاءت نوبة العمتين. وجاءت العمتان بتلك الثياب الطويلة والسوداء والعيون البيضاء إياها فجلستا. ولم يرد الأمير. كان يدرى أن ثمة أشياء كثيرة وراء ظلال صورة العمتين. وإنه إن أراد فبمقدوره أن يجد فى ظلمة الطرف الآخر بعيداً شيئًا مغريًا ربما، يمكن به إعادة بناء فخر النساء، أو حتى هو نفسه. ولكن عندما اقتلع العيون بمبراة القلم، عندما صارت العمتان على ذلك البعد الشاسع، عندما كان جلد بدنيهما تغطيه تلك الثياب السود والطويلة.. كان قد انصرف منذ زمن. ومرة أخرى انسحب ذانك الجداران الأسودان والثرثاران على ظهر الأمير.

- **يا خسرو خان!**

- **يا خسرو، تعال إلى هنا.**

قالت العمة الكبرى : **يا خسرو خان، ليس من شأن أمير أن يأخذ طيارة ابن البستانى.**

وكان خسرو يريد تطيير طيارته الورقية. كان الجداران، بعيونهما التى أكلتها الأرضة، يجلسان إلى جانبيه. ولم يكن خسرو يفكر إلا فى كيفية هربه مجدداً. كانت الريح تأتى. كانت الطيارة بذلك الذيل وأذنيها الحمراء - خضراوين على أرضية السماء الزرقاء. لم تعد تنتكس. كانت يدا خسرو الصغيرتان تعطيان خيطًا بسرعة والطيارة تبتعد. كان شريط الأذنين والذيل الرقيق يذوب فى السماء الزرقاء. كان ابن البستانى واقفًا. كان قد جعل يديه ظليلة لعينيه. عندما اشتدت الريح لم تعد لدى

يدى الأمير الرقيقتين وعديمتى الدم قدرة شد الخيط . وكان الأمير يهوى أن يأتى ابن البستانى ويساعده كى يُنزل الطيارة. عندما ظهرت العمة الكبرى صاحت :

- يا خسرو خان، هذا قبيح .

أفلت الخيط من يدى الأمير. صارت الطيارة أصغر وأصغر. كانت أذناها وذنبها الحمراء - خضراء قد ذابت فى السماء الزرقاء. هرب ابن البستانى واختفى وراء الأشجار. وكانت يدا الأمير احتجاب ما تزالان دعامة لرأسه. كانت يداه ترتجفان. لم يكن يسعل.

بدأ الجد أولاً. كانت سعلاته يابسة وممتدة. عندما اهتز كتفاه من شدة السعال سمع الأمير صوت اهتزاز الزجاج الملون لشبابيك القاعة. وهو الذى كان على ذلك القدر من الصغر ونحيفًا، كان يقف جنب كرسى الجد المرصع. كانت يده فى يد أبيه. كان الأب يرتدى جاكتة طويلة مزينة بالترصيع. علق سيفه قطريًا على بدنه. وقد اصطف الآخرون وراء بعضهم بعضًا أيضًا: أبناء الأعمام البعيدين و.. وفى جانب الغرفة الآخر، كان يجلس رجال الدين بلحاهم المدورة الممتلئة وعماماتهم السوداء أو البيضاء. كانت أيديهم على بطونهم. يتلاعبون بالمسابح. ثم كان صف الفراشين بالشوارب المفتولة وطاقيات الجوخ الأسود. كان الفراشون يتكئون على هراواتهم ذات الرءوس الفضية وينظرون أمامهم محدقين. التفت الأمير ونظر إلى وجه أبيه. لم ير إلا كثافة شاربه السوداء وذؤابته المعقوفة :

من الباب المقابل ظهر فراش الخلوة، الطويل القامة، وفي يده صينية. كان على الصينية شال كشمير. دار حول الحوض. أكان في الحوض سمك؟ كانت النافورات عالية وممتدة. عندما وصل مقابل الجد انحنى. دفع الجد الشال الكشمير إلى وراء. كانت الصينية ملأى بمسكوكات الفضة والذهب والبدرات الملفوفة رؤوسها بخيوط. رفع الجد بدرة. تقدم ابن عم لح. قبّل يد الأمير الكبير وما أن وضع الجد البدرة فى يده حتى بدأ السعال. كان جافًا وممتدًا. اهتزت زجاجات القاعة الملونة كلها. كانت مسابح رجال الدين على بطونهم. استدار الفراشون ونظروا. كان فراش الخلوة، والصينية بيده، ما يزال واقفًا أمام الجد. مرة أخرى جاء السعال. أخرج الجد منديله الأبيض ووضعه أمام فمه. عندما اهتز كتفاه وانحنى ارتجف الزجاج الملون مرة أخرى. أطلق الأب يد الأمير احتجاب. ورأى الأمير المسابح مرة أخرى. عندما ارتفع صوت السعلات اليابس والممتد مرة أخرى سمع الأمير احتجاب صوت الثريا ورأى أن الصف اضطرب. لم يعد الأمير يستطيع أن يرى الجد. ولكنه كان لا يزال يسمع صوت سعلاته ويرى حشد الناس الذين يتوالون فى كل تلك المرايا الكبيرة بلا انتهاء.

كان جالسًا بين النساء بخديه الغائرين. كانت عصابة رأس الأم السوداء والتُل معقودة تحت حنجرتها. كانت الأرضة قد أكلت عيون النسوة اللائى كن على طرفى أمه وفوق رأسها. نهضت الأم من بين النسوة. مدت يدها التى كانت حتى الآن وراء إحدى النساء فلربما ينهض الأمير احتجاب ويأخذ بيد أمه. ولكن الأمير كان لا يزال جالسًا

مطأطأ الرأس. كانت يد أمه بيضاء. كانت عروق يدى الأم الصغيرة خضراء. وكان الأمير يدرى أن الأم، الآن، تنظر إلى النسوة فى التصوير واحدة واحدة. أمسكت الأم ثوبها الطويل بيدها وجاءت فوقفت مقابل الجد تماماً، انحنت وقبلت يد الجد ثم يد الجدة.

كانت سعلات الجد قد صارت أجف وأصمت. كانت العمات يرحن ويجئن بلا صوت. كان الحكيم أبو نواس يظهر من تحت السقف الطاقى مع رائحة المغلى ولُبّاده الطويل. كانت ابنة عمته، فخر النساء، لا تزال جالسة فى إطار تصويرها. كانت زهرة قرنفل قرب فمها وكتاب كبير جلدى الغلاف فى حجرها. بقيت أصابعها البيضاء والطويلة على غلاف الكتاب. كانت قد أمسكت نظارتها الطبية بيدها اليمنى.

نظفت فخر النساء النظارة بمنديلها الأبيض ووضعتها على عينيها مرة أخرى. نهضت. جمعت تنورتها التل البيضاء. عبرت من فوق الكتاب الذى كان الآن مطروحاً فوق النقوش الإسلامية(١٤) للسجادة ونزلت إلى أسفل. وضعت زهرة القرنفل التى كانت إلى جانب فمها فى الزهرية وبالأصابع البيض الطويلة ذاتها لملمت شعرها. وصاح الأمير احتجاب، الذى كان يعرف أن فخرى خرقاء جداً وتنسى دائماً أن تطلق خصلتى شعر على مقدم جبينها، صاح:

- لا تمسحى كل هذا الأحمر على خديك السمينين. يجب أن تتعلمى أن تتزوقى مثل فخر النساء، أفهمت؟ ثم أن هذا الخال اللعين يجب أن تكونى وضعته على الزاوية اليسرى من شفتيك، لا على خطمك القروى.

(١٤) النقوش النباتية المستخدمة فى حياكة السجاد وتزيين حواشى الكتب.

بكت فخرى وأخفت وجهها، الذى كان يلتهب من صفعات الأمير، بين يديها. كانت كتفاها السمينتان المملوئتان لحمًا داخل ثوب سيدتها المستعمل ذاك.

- ولكن، أيها الأمير، هى كانت سيدة. سيدة. ثم، ماذا أفعل ليدىّ. كانت يدا فخر النساء نحيلتين وبيضاوين.

مسح الأمير دموع فخرى. أمسك يديها السمينتين والمليئتين لحمًا- اللتين تفغان رائحة صابون وخليط الطين والتبن[١٥] - بين يديه البيضاوين الخاليتين من الدم:

- لا تحملى همًّا، إننى أحب هاتين اليدين بالذات، هاتين اليدين. وحاولى أنت أيضًا أن تزوقى وجهك كما فخر النساء، أطلقى شعرك فوق ثديك، وبضعة الخصل هذه على جبينك. وفى كل ليلة أيضًا البسى الثوب التُل الأبيض ذا الحواشى المدورة .

تشبثت فخرى بيدى الأمير. وضعت شفيتها على جلد يد الأمير. كانت حامية. ركعت :

- ولكن الصحون، من يغسل الصحون؟ من يكنس الغرف؟

مد الأمير يده إلى شعر فخرى. ثم مسح بإبهام يده الدموع التى كانت تنسل الآن من الخط وسط أحمر الزواق :

- هذا شغل فخرى. أنت سيدة هذا البيت، أفهمت؟ فخرى يجب أن تغسل الصحون نظيفًا، وتكنس الغرف. وعندما أقرص كفلها تضحك مقهقهة وتهرب فتذهب إلى المطبخ .

(١٥) خليط تطلى به الجدران بعد اكتمال بنائها .

كانت فخر النساء تتم زواقها. كانت زهرة القرنفل لاتزال فى الزهرية.

كانت العمتان، بتلك القُمُص السود والطويلة وتلك العيون التى أكلتها الأرضة، تقفان جنب الأمير الكبير. كان الجد مسترخيًا فى كرسيه ذى المسندين. تقدم الأب فوقف أمام الجد، نظر إلى العمتين وإلى زهور السجادة. ثم قال :

ـ تفضل بالإذن بأن آخذ رخصة .

ـ أين؟

سعل الجد. قال الأب :

ـ لكثرة ما انحشرت مع هؤلاء الرعايا تعبت. ما عدت أستطيع .

أمسكت العمتان بكتفى الجد. قال الجد :

ـ حسنًا إذن فقد تعبت؟ لم تعد تقدر أن تكون سيد نفسك . كل هذا الضياع وكل هؤلاء الرعايا يبعثون فى نفسك التقزز؟ مرة أخرى اشتقت إلى الخدمة؟ حسنًا، كما تشاء ، إذا أردت اذهب ، ولكن أعلم أنك لن تعود ابنى .

وبدأت العمتان :

ـ قبيح علينا أنك، أنت أمل الأمير الوحيد، تذهب فتصير خادمًا لهؤلاء .

وقالت العمة الصغرى :

ـ يا أخى ، انصرف عن ذلك، وفى هذا الوقت الذى ..

وأشارت إلى الجد. كان الأب قد كوّر يديه وعندما رأى أن خسرو واقف عند ساقه تماماً سحب يده على شعر الأمير احتجاب الناعم :

ـ ولكن، يا أبى العزيز، لم تعد فى الأرض من فائدة، جنابكم يعرف ...

امتدت يد الجد إلى عصاه . كانت العصا فى يد العمة الكبرى . قالت العمة الصغرى :

ـ إذن فمن أجل المال والدخل الأكبر تريد أن تقوم بالخدمة لهؤلاء؟

وبكت. مدت رأسها إلى ما فوق كتف العمة الكبرى. سعل الجد. كان الحكيم أبو نواس يقف عند رأسه. عندما انتهى السعال دفع الأميرُ الكبير الحكيمَ أبا نواس إلى وراء وقال :

ـ لم تعد فى الأرض فائدة؟ فى ذلك الوقت عندما أعطيتُ قرية كى استخلص حياتك يا من لا تستحق كانت فيها فائدة. عندما صرفتُ على كل مباذلك كانت فيها فائدة. ولكن الآن إذ أنا راحل وعليك أن تعنى بهاته، عليك أن تصير عمودَ العائلة، لم تعد فيها فائدة. ها؟

ـ تفضل بالإجازة، يا أبى العزيز، إننى لا أريد...

وصاح الجد:

ـ رح ولٍّ. ابنى أنا، ابن الأمير الكبير، يجب ألا يصير خادم محدثى النعمة هؤلاء كى يعلقوا بصدره وساماً، تف!

كان الأمير احتجاب يدرى أن أمه ستبكى الآن. ورأى أن أمه نهضت وذهبت فجلست فى إطار تصويرها ومسحت دمعها. كان حول تصوير الأم أبيض أبيض. مرة أخرى سعل الجد ومرة أخرى اهتزت الزجاجات الملونة. لم تكن الجدة تسعل. كانت رائحة المغلى قد ملأت كل الغرفة والمدخل وحتى الشارع المفروش بالحصى. قالت الجدة :

- عزيزى الأمير، لقد كبر ابنك، إنه يعرف ما يفعل .

وقالت العمة الكبرى: **يا فروغ سلطان، من الأفضل ألا تـ...**

وقالت العمة الصغرى: **لا تتكلمى.**

كانت الجدة تسعل. أمسكت بمنديلها أمام فمها. كان كتفاها يرتجفان، ولكنها كانت تعاود الكلام :

- أيها الأمير، لم يبق لى غير هذا الابن، وعندئذ تسمح لهاته العفريتات أن...

قالت العمة الكبرى : **عفريتة، أنا عفريتة !**

بكت العمة الصغرى ووضعت رأسها على كتف العمة الكبرى .

قال الأمير الكبير: **لا تتكلمى بعد!**

وتشبث بقبضة الكرسى. لزم الجميع الصمت. كانت الأم تبكى داخل إطار تصويرها.

كان الحصان قد جاء إلى منتصف التلال، وسرجه ولجامه يبرقان فى الشمس. صهل. التفت خسرو ونظر. كان رأس الأمير احتجاب

مطأطأ، ولكنه رأى الحصان يشب على ساقيه. كان عرفه قد غطى كل تلال التصوير. كانت شُرّابات العذار[١٦] قد سقطت على عينى الحصان. كانت ذؤابتا شارب مراد تبلغان نكافه وقد سقط ظله على الزجاج وعلى السجادة . قال الأب :

- **يا مراد خان، أأسرجت الحصان؟**

وبكى خسرو. ورأى الأمير احتجاب أن العمتين ركضتا إلى ما تحت السقف الطاقى الذى كونته الأغصان والأوراق، وراء الأب .

كانت أربعة حصن غبراء مجهزة بالأسْود تجر العربة. كانت أعراف الحصن وذيولها سوداء. وكان المخمل فوق العربة أسود أيضاً. لا بد أن مراد خان قد أمسك معترضة فم أحد الحصن الأمامية وراح يمشى على الأقدام. كان الأمير احتجاب والجدة والأب جالسين على مقعد العربة. كان الأب يعبس فى المرايا. كان مخمل داخل العربة أحمر. كانت عروق التطريز المذهب لمخمل المقعد لينة. كانت عربة الجد. وكانت المحفة السوداء، إلى الأمام، تهتز فوق رءوس الجمع. كان مراد خان يلبس جاكتة سردارى وقد ألقى بالشال الأسود متعارضاً على كتفه. وكان الصبية واضعو الشالات السود على الأكتاف يدفعون الناس إلى وراء. كان قفازا الأب أسودين. كان الخيالة يتقدمون خببا من طرفى العربة. قال الأمير:

(١٦) مانزل من اللجام على وجه الفرس .

- **أريد أن أترجل .**

قالت الجدة: **تصير تحت أيدى الخيل وسيقانها.**

قال الأمير: **ليكن، أريد أن أترجل.**

أمسك الأب بمعصم خسرو بإحكام. كان عابسًا. كانت أزرار جاكتته السردارى تبرق. كان الطريق كله مرشوشًا بالماء. كان الناس يقفون على جانبى الطريق. كانت النسوة تمسك بأيدى الأطفال. حتى فوق الأشجار والأسطح. يتقدم الخيالة. أناموا الجد داخل المحفة وطرحوا قطعة شال عليه. لم يكن يسعل. كان شاربه مدلى وتجاعيد وجهه صافية. كان جبينه يلمع. الأم والعمتان فقط كن يبكين. كانت العمة الصغرى قد وضعت رأسها على كتف العمة الكبرى وراحت تبكى. كان الفرسان يأتون ويمرون. كانت العمتان داخل العربة الخلفية. وكانت الأم فى آخر عربة. كان الناس يقفون على جانبى الشارع، خلف الجدول(١٧) والأشجار. لم تكن الجدة موجودة. كان ثمة الأب والأم. وكانت العمتان فى العربة الخلفية .

كان مراد، بلباسه المخمل الأسود، بنطاله الأسود، قفازه الجلدى الأسود والجزمة اللماعة وغطاء الرأس المصنوع من جلد حمل، يمسك معترضة فم الحصان ويتقدم ماشيًا. هناك فى الأمام، كان الحشد يمضى مع المحفة. كانت الأم تبكى. كانت محفة الجدة فى المقدمة. على قطعة الشال الزمردى كان ثمة ثلاث طاسات كبيرة، ملآى ثلجًا. وكانت

(١٧) ساقية تكون بين حوض الشارع والرصيف ، يُكنس ، ويسيل إليها ، الجليد شتاءً .

رشاشات ماء الورد داخل الطاسات أيضًا. كان ثمة أربع زهريات على زوايا قطعة الشال الأربع، وزهريتان بين الطاسات. كان صندوق أجزاء القرآن في الأعلى، حيث كان ثمة حامل كتب أيضًا. كان الناس منكبين على الأجزاء التي كانت على الحامل أو على ذيولهم ويقرأون، هادئين وبلا صوت. كانت رؤوسهم تنحني وتستقيم. كان القراء يقرأون القرآن تحت الثريا ذات الأربعين ساق ووراء المباخر النحاس. كانت سلال الأماليد، بمعلقاتها وريشها هناك، في ذلك الجانب الذي لم يكن فيه أحد. لا تأتي ريح. أكان الريش أخضر وأحمر أم أسود؟.. كان أسود.

لم يكن الأمير يسمع إلا مجموعة أصوات مختلطة وغير مفهومة. لم تكن الثريا تهتز. كانوا قد أوقدوا كل شموعها. لم يكن الأب قد أمسك بمعصم الأمير. كان الأمير ينظر إلى أزرار جاكتته الطويلة. قال :

- أماه، أريد أن أترجل .

قالت الأم : لقد كبرت، يا أماه .

وبكت. كان الأمير يذهب جنب مراد خان. هناك في الأمام كانت محفة الأب تهتز. قال مراد خان :

- الجميع راحلون، أيها الأمير.

ونظر إلى جزمتيه .

- كان أبوك إنسانًا طيبًا، أيها الأمير.

قال الأمير: أدرى .

كان الأمير احتجاب يدرى أنه الآن قد جلس جده فى إطار تصويره وركب أبوه حصانه الأغبر يخب به بين التلال . كان القراء قد أحدثوا ضجة . كان الأمير واقفًا كى يأتى كل ذلك الجمع ويروح. دفنوا الأب إلى أسفل، عند قدمى الجد وقدمى الجدة. انحنوا على أجزاء القرآن وراحوا يقرأون ويعطى موزعو الأجزاء أجزاء جديدة بأيدى الناس. القراء يقرأون بصوت مرتفع. مضى زمن طويل منذ أن جلست العمتان فى إطارى تصويرهما . كانوا قد ثقبوا أعينهما . لم تعد الأم تبكى. وسعل الأمير.

عندما فتح الباب رأى الأمير احتجاب تينك العينين السوداوين اللتين كانتا مؤطرتين بشادر الصلاة(١٨) المورد. قال الأمير:

- أين حضرة فخر النساء؟

عندما انشق شادر الصلاة بلغ نحت الأنف وحمرة الخدين إلى الابتسامة والأسنان ثم.. عندما قال الأمير:

- قلت، يا بنت، أين فخر النساء؟

التف شادر الصلاة بدوران اليد التى كانت خلفه حول العينين فأطّرهما . وكانت العينان سوداوين وحيتين ، وفى بؤبؤيهما برق . كانت ظلال الأهداب الطويلة تبلغ حاشية شادر الصلاة. عندما كشفت خطى الحاجبين الممتدين والكثّين واستدارة رأس السلم، لم يفهم الأمير كيف

(١٨) كان لنساء الأعيان والأثرياء أكثر من شادر . ويكون شادر الصلاة عادة أبيض موردًا .

صعد كل تلك السلالم . وصل الشرفة. كانت فخر النساء تجلس وإياه ظهراً لظهر، بذلك الثوب التُل ذى التجاعيد إياه. تبلغ الضفيرتان الطويلتان المحيكتان غضون الخصر الخفيفة. وقف الأمير. تابع خطوط الكتفين الناعمة المنسابة والخطوط الخفية للمرفقين التى كانت وراء ثوب التل. عندما وصل ظهر الكرسى ترك الخطوط واستقرت نظرته الذاهلة على بياض مؤخر العنق، والشعر الخفيف هناك. كانت فخر النساء تجلس على كرسيها الدوار. كان إلى جانب يدها طاولة. رأى الأمير الدورق البلورى ذا القبضة ثم الكأسين ذواتى الساقين الكرستال الطويلتين ووعائى المن والسلوى والمكسرات. كان الدورق ذو القبضة مليئا حتى المنتصف. كانت فخر النساء لا تزال جالسة ظهراً لظهر الأمير. تقدم الأمير. من جانب خط العنق الرقيق والتجاعيد على الكتف اليمنى، رأى الكتاب الكبير ذا الغلاف الجلدى والأصابع البيض والمشوقة. وضعت فخر النساء إصبعًا داخل الكتاب وأغلقته. استدارت، وما أن أراد الأمير أن يقرأ تلك النظرة الشامتة من وراء زجاج النظارة، قالت :

ـ تفضل بالجلوس، يا خسرو خان.

نظر الأمير احتجاب إلى الحاجز وثمار الصنوبر والنظارة وذؤابة الصنوبر التى تخترق الحاجز.

ـ لم أرد أن أكون مزاحمًا، ولكننى رأيت...

ـ نعم، رأيت أنك وحيد وأنه الآن، وقد توفيت الوالدة، يستحسن أن تمر بخطيبتك. تفضل .

جلس الأمير على كرسى على الجانب الآخر من الطاولة.

ـ كنت تعرفين أننى قادم فى حضرتك؟

أمسكت فخر النساء بقبضة الدورق. عندما كانت تصب الشراب فى الكأس، سمع الأمير مرة أخرى صوت القُمرية.

ـ تفضل، شراب منزلى. أظنه ابن سبع سنوات. أمرت بأن يجلبوه من جليل آباد.

نظر الأمير إلى خطوط وجه فخر النساء الرقيقة والمنمنمة التى كانت على ذلك القرب والبعد، وإلى انحناء خط الذقن، والعنق المنحوت والأبيض الذى كان يمتد حتى تجاعيد الثوب التُل. ولكن عندما أراد أن يتابع انحناء الثديين، الذى كان ضائعًا فى ثنايا تجاعيد الصدر، قالت فخر النساء :

ـ تفضل، لن تتأخر.

ـ نعم، نعم.

ورشف الأمير الشراب. كان مرًا، وفيما كان ينزل من حلقوم الأمير أحس أن جبينه يعرق. قال الأمير :

ـ عمره سبع سنوات؟

ـ نعم، الشراب نفسه الذى أمرت المرحومة والدتك أن يعدوه يوم خطبتنا.

نظر الأمير إلى أصابع فخر النساء البيض المشوقة. كانت أربع من أصابع فخر النساء على حافة الطاولة. واليد الأخرى..؟ وفهم الأمير أنها مخفية وراء ذلك الكتاب السميك. قال :

- أى كتاب؟

- مذكرات جدنا النبيل.

- أنت، أنت تقرأين هذه الأشياء كى يصير ماذا؟

ومرة أخرى تحلقت الأصابع الطويلة البيضاء التى تشبه خمس سمكات بيض، ذاتها، حول مقبض الدورق ومرة أخرى غنت القمرية داخل الكأس إياها.

- اشرب واحدة أخرى أيضًا. يعتقد الأطباء أن الشراب للبواسير...

وضحكت. مرة أخرى رأى الأمير احتجاب ذينك الغضنين الرقيقين إلى جانب الشفتين وصف الأسنان البيضاء والصغيرة. قال:

- البواسير؟

رطّبت المرارة حلقوم الأمير. عندما كان يفك ورق المن والسلوى الشفاف، قالت فخر النساء:

- انظر، لو أننا أردنا أن نعرف أنفسنا ينبغى أن نبدأ من هناك، من هؤلاء الأجداد إياهم .

رفعت فخر النساء الكتاب ورأى الأمير أن حفرة ارتسمت مرة أخرى فوق خال خدها الأيسر ومرة أخرى تناول شرابًا.

- صدّق، هذا الجد الكبير لم يكن يشكو إلا من بواسيره المباركة: اليوم عنده نزيف، ويوم آخر ينبغى أن يجرى جراحة، وذات يوم منع الحكيم أبو نواس ركوب الخيل وفى يوم آخر يجب أن يتناول المسهل

أو يشرب - فى الحرم، خفيةً عن أعين خدم الخلوة - شرابًا عسى تتركه البواسير مرتاحًا. كان هذا كل ما في الأمر.

- حسنًا، وما الذى يستحق القراءة فى هذا؟

- أدرى، ولكن هذا نفسه مشكلة إذ لماذا كان أجدادنا لا يفكرون إلا بالأمعاء المباركة وشغلها، بالمعدة المباركة، وبالبواسير المباركة؟ أو إذا لم يكن ثمة من خبر عن هذه، إذا لم يجدوا أحدًا يقطعون رأسه مثلاً عند حاشية حديقة منزلكم بالذات، من الأذن إلى الأذن، فلماذا يركبون خيلهم وينطلقون مع كل أمراء الصيد، رؤساء السكرتارية، رؤساء الفراشين، رؤساء الخدم، رؤساء مسؤولى البنادق، رؤساء الملالى، رؤساء الحكماء إلى الجبال والصحارى فيتولون الأيائل والوعول والدراج والأرانب وغيرها. ثم عندما يعودون تعبين مرهقين لماذا يتصيّغ أحدهم الأخرى؟ ثم لماذا يخلعون على هذا، صباحًا، ويقطعون رأس ذاك ويصادرون أمواله؟

وضع الأمير احتجاب ساقًا على ساق. وضع يده اليمنى على حافة الطاولة وعد أصابعه واحدًا واحدًا. ثم رفع الدورق ذا القبضة كى يسمع صوت القمرية. قالت فخر النساء:

- شراب جيد.

وأحس الأمير أن جبينه تضمخ عرقًا مرة أخرى، قال:

- ألم يكن من البطالة؟

- البطالة؟ لا. لأن وجوده المبارك لم يسترح من الصباح حتى المساء حتى دقيقة واحدة. على كم مليون من البشر ينبغى أن يتعرف ويعلق على

كل هذه العرائض بخط يده، ويجلد، ويحز رؤوسًا، ويصادر ميراث خدم، ويتعامل مع كل أولئك الناس الذين أيديهم على صدورهم[١٩] والقائلين نعم نعم والمتملقين ويبتزهم ومع كل ذلك لا يصرف شيئًا. أفليس هذا كله عملاً؟ مساومة رجال الدين وأولئك الطلاب حاملى الهراوات الذين يسترقون السمع كى يعرفوا متى يهدر "السيد" دم شخص ما؟ إن معرفة كل تلك العترة والعصمة التى يعج بها الحرم والتى تتنصت لتعرف أيًا من الخصيان، أيًا من الغلمان الصغار عنده شىء من رجولة، وإبقاءها راضية، أليس هذا كله عملاً؟ فكر بهذا: رجل واحد وكل هاته الفتيات الأبكار، كل هاته النسوة ذوات العيون والحواجب السود، كل هؤلاء الذين طرت شعور وجوههم حديثًا والذين تم إهداؤهم لصاحب الحضور المنير! ثم مع تلك البواسير اللعينة التى لا تنى تنزف دما وأبى نواس اللعين هذا الذى منع الجماع.

نظرت إلى الأمير، كان مقطبًا:

- ماذا عنك، ما أنت فى هذا السباق؟

- أى سباق؟

ضحكت فخر النساء. ضحكت عاليًا. انسحب الأخدود على جانبى شفتيها حتى خط ذقنها. ضاع الخال الكائن فى طية الأخدود الرقيق فى الجانب الأيسر.

- إذن فأنت بعيد جدًا. ثمة مسابقة غريبة بين هذا الجد الكبير وكل أولئك الأجداد كبار الشأن، مسابقة تعدد الزوجات وتلوّن النطع. يريد كل واحد أن يكون له حرم أكثر تلوينا و...

(١٩) كناية عن وقفة الاحترام.

حركت النظارة على عينها. فرت أوراق الكتاب. نظرت من فوق الكتاب إلى الأمير. سقطت إحدى الضفائر فوق ثديها الأيسر..

- أتريد أن أقرأ لك شيئًا؟

شرب الأمير ثمالة كأسه وكسر حبة فستق مستخرجًا لبها فوضعه فى فمه. كانت فخر النساء لا تزال تنظر:

- تريد، ها؟

وقرأت:

- « لم تكن حالنا اليوم حسنة جدًا. كان المحاسبون قد مسحوا الجبال. عرض الخدم أن نركب. جعلنا الحكيم أبا نواس ملتزم ركابنا. عُرض علينا أن دبًا شوهد أيضًا. كان الجو باردًا. كنا قد نسينا أن نلبس سردارينا، المصنوعين من الخز، ولكننا قدنا الركب. عرض علمدار خان، أمير الصيد، أن قصاصى الأثر حصروا الدب. رأينا أن الحكيم أبا نواس يخاف، فتفضلنا بأن يعود إلى المقر. واتجهنا، بالخدم، إلى الجبل. عرض أمير الصيد أن من الأفضل أن نترجل. ذهبنا على الأقدام. كان الطريق صاعدًا. تخلف الخدم. مع كل الشيخوخة فإننا نصعد فى الجبال خيرًا منهم. أولاد المحاريق يضيعون خبزنا وملحنا هباء. عندما وصلنا جلسنا وراء الصخر. عرض آقابيك أن الدب لابد وأن يكون فى ذلك الجحر. كمنّا وراء شجرة اللوز الوحشى. وصل الخدم أيضًا. كانوا شاحبين . ألقى آقابيك متفجرة يدوية فى الجحر. كان الجحر يبعد عنا ثلاثة أذرع. خرج الدب. كان كبيرًا جدًا. لم نكن قد أصبنا دبًا مثله من

قبل. ضربنا، ببندقيتنا الفرنسوية نُمرة ١٥ ـ التى تقذف الخردقة الرصاصية جيدًا ـ على رأسه فتهاوى. قال الخدم : أحسنت ، كثيرًا. قدّم آقابيك عفو اللحظة حصانًا وبندقية روسية جائزةً . كان صيدًا جيدًا. تفضلنا بالأمر بأن يسلخوا جلد الدب ويرسلوه إلى فخر السلطنة. عندما عدنا إلى الخيمة عرض علمدار خان أن الدب كان حيًا. أنه جرح أحد الخدم. وأن الصيادين أصابوا خمسة أيائل وما بين عشرين وثلاثين أرنبًا ووعلين. كان أحد الأيائل فى الخامسة عشرة. كان مقتدر الملك منطويًا على نفسه. تفضلنا بالأمر بأن يعطوه البندقية الروسية جائزة. تناولنا الغداء ظهرا تحت عباد الشمس. كان الحرم قد أقام ضجة. جاء حاجب الدولة وعرض علينا أن السيدات تنازعن حول جلد الدب .

« ساءت حالنا عصرا مرة أخرى. أعطى الحكيم أبو نواس مغليًا. ابن المحروق يأكل زادنا وملحنا منذ عشر سنوات وهو لا يعرف شيئًا بعد. بعثت فخر السلطنة خبرا بأنها الليلة أيضًا تنتظر قدومنا المبارك. إنها فتاة طيبة. ولكنها كثيرة الاعتزاز بنفسها. تفضلنا بالإخبار ألا تنتظر. قلنا ذلك من أجل الحرم . أرّث ابراهيم بيك سذابا وأداره حول رأسنا. قال لا بد أن عينًا أصابتنا. ضحكنا كثيرًا. هو خادم جيد. »

خلعت فخر النساء نظارتها. أغلقت الكتاب. ولكن أصبعها كان لا يزال داخل الكتاب:

ـ ترى كم أنت متأخر. لا بد أن الجد الكبير تلك الليلة، مع فتاة جديدة، فتاة جورجية على وجه التحديد...

قال الأمير: **لا يبعث صيده ذاك على فخر كبير، فكل امرئ يستطيع أن يصيب من مبعدة ذراعين أو ثلاثة، وبخردقة رصاصية أيضًا...**

فضحكت فخر النساء: **وماذا عن الفتيات؟**

كانت فخرى قد جاءت إلى باب الشرفة، بتينك العينين إياهما وإطار شادر الصلاة عينه.

ـ سيدتى، الغداء جاهز.

فقالت فخر النساء: **روحى، سنأتى الآن .**

استدارت فخرى. ونظر الأمير إلى كتف فخرى ووسطها وخطوط كفلها المنسابة . كان شادر الصلاة يلف جسدها بإحكام . قالت فخر النساء :

ـ لا تزال فخرى باكرة، أتريد أن أهديها لجنابكم كى تبدأوا جنابكم أيضًا؟ مع أننى أعرف بأنكم لن تصيروا شيئًا فى هذه المسابقة مع الأجداد.

قال الأمير: **فتاة جميلة.**

قالت فخر النساء: **عيناها فقط جميلتان. وهى أيضًا تعرف هذا .**

وصبت لنفسها شرابًا شربته فى جرعة واحدة. تركت الكتاب على طرف الطاولة والنظارة فوقه. نظر الأمير إلى عينى فخر النساء . كانت عينا فخر النساء أيضًا سوداوين . ولكنهما لا ترمشان . كان بؤبؤاها قد غُسلا.

ـ عيناك أيضًا جميلتان .

صبت فخر النساء للأمير أيضاً:

- ليس فيهما ما يستحق الذكر، إن خيلاً كهذه لا تنفع فى السباق، الحصان المُهدى يعطى ركوبًا أفضل .

وضع الأمير يده على يد فخر النساء المشوقة والبيضاء التى كانت فوق الكتاب. قالت فخر النساء :

- أتعرف، لكى تكسب السباق فالطريق إلى ذلك ألا تضيع وقتك هدرًا على أمثال هذا المديح والتدليل، يجب ألا تذهب إلى الحواشى،

ألقت ضفيرة شعرها بيدها اليمنى وراء رأسها. نظر الأمير إلى الخط بين الثديين وإلى انحناء النهدين اللذين كانا صغيرين ومدورين. كان قد رفع يده .

- وماذا عن الجد؟

- أهدر وقته. كان فى كل يوم ينبغى أن يقطع رأسًا أو رأسين، أن يصيب أيّلين أو وعلين أو ثلاثة كى يجوز أن يركب ليلاً الخيل المهداة، أو العكس . ولكن يجب أن لا يتمسك بأحد هذه الأمور، يجب عدم الاعتياد على أحدها. لكن الجد اعتاد، واعتاد على رؤية الدم بالذات. راق له لون الدم . حتى أنه أمر بأن يرصعوا مقبض سيفه بالياقوت، ياقوت كبير. ربما كان خط أو اثنين من الدم يكفيان لكى تتحرك أمعاء المرء، ولكن إن زاد، إن اعتاد المرء، إن أراد أن يكسب سباقًا لا غير، لا، فهذا غير ممكن .

رشف الأمير شرابه ونظر إلى وجنتى فخر النساء اللتين توردتا. كانت فخر النساء تتلاعب بنظارتها وبغلاف الكتاب الجلدى .

- ولكن على النحو الذى تتفضلين بالقول فإن الجد ، فى الأقل ، فى إحداها..

- لا، ولا فى أية واحدة، خسر كلا الأمرين مجانًا. ولقد كان اشتباهه فى هذا أيضًا. إما يجب كسب الإثنين، أو عدم كسب أى منهما. لو أنك قطعت رأس أحدهم فلابد أن تتصيغ ابنته، ابنة أخيه أو حتى واحدة من عشيرته كى تموت الفتنة. وعندئذ تكون المقابلة مع بنت باكية، وتلبس الأسود ولا تريد، أو تهرب وحتى تريد أن تمسح زواق وجهها وتنكش شعرها، أفضل. ترى أن المسألة بهذا اليسر.لأن هذه البنت نفسها تخشى فى الوقت عينه أن يصرخ المرء: «يا جلاد!» أو يُشد أخاها، الذى صار غلام الخلوة حديثًا، إلى الفَلَقة. أتعب الجد نفسه. رغم كل أولئك الأعداء لم يكن ذا شأن أيضًا، مجرد حاكم بسيط كان بمقدور أبيه أن يعزله فى كل لحظة. وعندئذ تسرع، أراد أن يُتم بأسرع ما يمكن العمل، الذى كان أجداده قد فعلوه فى عشرين سنة أو ثلاثين وحتى فى خمسين سنة، خلال خمس عشرة سنة. دعا الناس مجموعة مجموعة وأعطاهم سمًا، هدم سقف البيت فوق رؤوس كل شيوخ العشيرة. ولأنه كان قد تعب مساء ولم يعد قادرًا على ركوب خيوله المهداة، جمحت الخيول وصارت ترفس. كما أنه كان يندم أيضًا، وكانت نوبات الندم هذه تمتد، ولابد، أسبوعًا.

نهضت :

- أتريد أن تسمع شيئًا عن ندم الجد؟

قال الأمير: كلا، بالطبع لو سمحت .

ـ سرعان ما أعثر عليه، ثم أنه جيد لشهيتك. فإن تلك النوبات والإنابات كانت لأمعائه كالمسهل قوية كى يتمكن جنابه من معاودة الأكل.

كان الثوب الأسود يبلغ حتى ما فوق قدمها. كانت الضفائر فوق نهديها. عندما دخلت فخر النساء البهو، نظر الأمير إلى قفاها الأبيض وإلى انحناء خطوط الكتفين والخصر والى الحثالة فى قعر الكأس ثم إلى وجه فخر النساء التى كانت عاودت الجلوس على كرسيها الدوار وراحت تفر أوراق كتاب مذكرات الجد. وترمق خفيةً الأمير. لم تكن تضحك .

ـ إن العثور عليه يحتاج إلى قليل من الشغل، لن تتعب؟

صب الأمير لنفسه شراباً. كان الشراب أحمر أحمر. أُترعت الكأس وانسكب الشراب على مشمع الطاولة. وجرى الشراب الأحمر كجدول صغير إلى حافة الطاولة. نظر الأمير إلى القطرات الحمر التى كانت تقطر من حافة الطاولة وعاود الصب وراح ينظر. عندما وضع الكوز الخالى على الطاولة، قالت فخر النساء :

ـ إذا كنت تريد فلأقل كى تجلب المزيد، عندنا خُمرة منه.

قال الأمير: كلا، أنا لا أصير شيئًا فى هذه المسابقة.

شرب الشراب. كان يتجرع وبعد كل جرعة ينظر إلى الشراب وإلى الحثالة التى ترسبت الآن. قرأت فخر النساء:

ـ « إن أصفهان اليوم لهى حقًا بلخ القديمة التى كانت تلقب ببقعة الإسلام. غير رجل الدين والملا وقارئ الروضة[٢٠] والواعظ..»

(٢٠) اسم عام لكل أشعار التعزية التى تقرأ فى ذكرى استشهاد الإمام الحسين أو أهل بيته وأصحابه .

نظرت إلى الأمير:

ـ لم يكن هنا. ولكن على أية..

فرت الأوراق. وعرف الأمير الآن أن ذلك لم يكن في هذا الكتاب السميك ، أن الجد كان قد نسي حتى اسم منيرة خاتون . وسمح بأن تنبعث منيرة خاتون مجدداً بكل لحمها الدافئ والحي ذاك. ورفعت منيرة خاتون خسرو وألصقته بصدرها. كان ثدياها ساخنين. كانت تضحك، قالت:

ـ يا خسرو خان، تعجبك الحال؟

كان الأمير قد طوق عنق منيرة خاتون بيديه. كان كفّا منيرة خاتون قد عرقا. كانت قد تناولت رضفتي ركبتي الأمير وراحت تحكهما بجسدها، فقالت :

ـ تحب هذا، يا خسرو خان؟

وحكّت أكثر. كان جسد منيرة خاتون ساخنًا ومليء اللحم. شد الأمير حلقة يديه أكثر. كان قد أمسك رأسه إلى الوراء وراح ينظر إلى وجه منيرة خاتون. كان شعر منيرة خاتون قد انتثر على كتفيها. ألصقت نفسها بالجدار. ثم فركت بيدها. اقشعر بدن الأمير وأحس أن جسده صار عارياً . كانت أصابع منيرة خاتون السمينة والمتعرقة لا تزال تفرك. قالت :

ـ تحب ذلك، تحب ذلك؟

لم يكن الأمير يحب ذلك قط. من الغرفة على الجانب الآخر كان يأتي صوت شيخ الحرم الذي يروي المصيبة[٢١] بصوت عالٍ وممطوط. سمع صوت بكاء جدته وأمه والنسوة، اللائي كن جالسات في الغرفة سباعية الأبواب. كانت الجدة قد قالت: «**لا تتحرك من هنا.**» ولكن خسرو كان قد انطلق. كانت منيرة خاتون جالسة في غرفتها ذات ثلاثة الأبواب . كان شادر الصلاة على رأسها . لم يكن ظاهراً إلا عيناها السوداوان، قالت: «**أجئت مجدداً كي تلعب يا خسرو خان؟**» . ألقت منيرة خاتون شادر صلاتها، وأمسكت بيد خسرو خان وذهبا إلى داخل صوان الملابس .

كان الضياء يسَّاقط من الفتحة العلوية. قالت :

- أيعجبك؟

وجلست. كان الأمير جالساً على فخذي منيرة خاتون الكبيرتين. كان ساقاه بين كتلتي اللحم هاتين. كانت منيرة خاتون لا تزال تتحرك، تقول :

- يعجبك؟

كان رأس الأمير بين ثديي منيرة خاتون الساخنين والمضمخين عرقاً . كان الثديان يترجرجان. منيرة خاتون تلهث. كانت تستلقي على ظهرها . كان الأمير يحس حرارة، قال :

- أريد أن أذهب، لا أريد أن ألعب بعد. لا أحب ذلك، أكره ذلك.

قالت منيرة خاتون: **لا تريد أن تركب فرساً عارية، ها؟**

(٢١) أي واقعة كربلاء .

كان النور قد سقط على عنقها. كانت يدا الأمير على الكتلة الزلقة لثديي منيرة خاتون المتعرقين. قالت منيرة خاتون :

ـ قليلاً بعد، قليلاً بعد.

قال الأمير: **لا أريد، أشمئز.**

وصرخ: **يا جدتى!**

نهضت منيرة خاتون. كانت يداها ترتجفان. نظر الأمير إلى ثدييها. كان شعرها قد تساقط على كتفيها.

ـ انتظر إذن كى أكسوك بملابسك .

كانت يداها ترتجفان. قالت الجدة :

ـ أين كنت؟

جلس الأمير. كانت الأم قد قدمت رأسها إلى أمام. كان صوت شيخ الحرم يصل .

ـ كنت ألعب مع منيرة خاتون، كنا نلعب ركوب الخيل.

قالت الجدة: **أيتها المؤنية، ها أنت مرة أخرى...**

قالت العمة الكبرى: **ماذا جرى، يا فروغ السلطان؟**

ـ لا شىء.

أمسكت العمة الصغرى بيد خسرو: **تعال اجلس جنبى، يا خسرو.**

وجرته جدته أيضاً: **لا، لا تذهب إلى أى مكان يا خسرو.**

كان صوت شيخ الحرم مرتفعًا وممتدًا. كان رأس أنبوبة الأرجيلة تحت شفة الجدة. كانت النسوة يجلسن حول جدار الغرفة من الداخل. سحبت العمة الصغرى مرة أخرى يد خسرو، وشد الأمير أيضًا. نهضت العمة الكبرى وذهبت. نهضت النساء. لم تبق جالسة غير أمه وجدته. قالت الجدة هامسة:

- ذهبت أخيرًا.

ونفخت الدخان. تقدمت العمة الصغرى. ذهب الأمير عند الجدة. قالت العمة الصغرى:

- يا فروغ السلطان، أذهبَ مرة أخرى عند منيرة خاتون؟

كانت النسوة يبكين. انحنت الجدة، وكانت العمة الصغرى منحنية. لم يكن الأمير يسمع غير صوت شيخ الحرم ولا يرى غير ظله الذى سقط على الستارة. وكان ظل غليونه مشهودًا أيضًا. انحنت المربية قمر، قالت:

- بأمر صاحب السمو...

فقالت الجدة: **ما إن ينتهى انتقال[٢٢] الشيخ، على عينى.**

جلست المربية قمر ورفعت الأرجيلة. كانت أجفانها بيضاء. كانت بعض خصلات شعرها البيضاء ظاهرة من تحت عصابة رأسها. سمع الأمير صوت الجد العالى ذا العقد:

- يا فروغ السلطان!

كانت فخر النساء لا تزال تفر الورق. صاح الأمير:

(٢٢) المقصود انتقال القارئ من سرد المقدمات إلى (بيت القصيد) ؛ وصف الوقائع وكيفية مقتل كل واحد من صحب الحسين وأفراد عائلته .

- يأتى صوت صراخها إلى داخل البستان، صدقينى، حتى إلى بين الأشجار وعند الباب. لابد أنهم كانوا يَسِمونها. كان المعلم يقول ذلك.

ولكن فخر النساء لم تكن غير تخطيط بلا لون. مثل أولئك النسوة اللائى رسموهن فى المنمنمات على الجدران التى تحيط الصالة، واقفات تحت الصفصاف أو جالسات عند ساقية الماء منثورات الشعر وفى أيديهن الكؤوس. كان فى يد فخر النساء كتاب، ذلك الكتاب الكبير ذو الغلاف الجلدى عينه. وقرأت :

- « والله، لم يكن تقصيرى. كان أبى قد أصدر أمرًا، ولكى أطهر ذيلى من تهمة التعاون مع شيخ العشيرة فعلت ما كان ينبغى ألا أفعل. كان الحكم حكم أبى وحكم أولى الأمر منكم. كم مرة قلت فلأضرب وأريح نفسى. ولكننى رأيت أنه فى الشرع المقدس نُهى عن قتل النفس. متورط فى الدنيا وكذلك فى الآخرة. الله والرسول شاهدان أننى قلت للسيد حبيب ذات يوم: « أسرج الجواد ». وذهبنا معًا إلى الصحراء. أعطيته المسدس بيده وتعلقت بأذياله، قلت: « أستحلفك بجدتك الزهراء[٢٣] أرحنى ». بكى السيد حبيب، وقال: «ما هذا الكلام؟» قلت: «غدًا بم أجيب جدك[٢٤]؟ كيف أنظر إلى وجه جدك؟ أنا راضٍ بجزاء الدنيا، أفعل أنت هذا فلعل الله يغفر لى تجاوزى». فقال: «لقد كان الحجاج بن يوسف، مع كل ذلك القتل وتلك المجازر، يرجو كرم الله». قبل يدى وركبتى، وأراد أن ينزل إلى أدنى أيضًا فلم أسمح له. قبلت وجهه.

(٢٣) هى فاطمة ، ابنة النبى (صلى الله عليه وسلم) .
(٢٤) يعنى : النبى (صلى الله عليه وسلم) .

فى الطريق أصبنا أرنبين بخرادق الرصاص. بيّن السيد أنه قرأ، لا أدرى أين، أن الحجاج نفح سائلا بضعة دراهم وقال له: «ادع» فكان السائل يدعو كل ليلة. عندما يموت الحجاج ، يزور السائل فى نومه ويقول : « لم لا تدعو؟» فيقول السائل: «تصورت أن أمرك انتهى وليس فى دعائى فائدة» فيقول الحجاج: «لخاطرك أنت بالذات شطبوا على كثير من آثامى بقلم المغفرة». فيسأل السائل: «أثمة أمل» فيجيبه: «نعم، حتمًا، واصل الدعاء

كانت فخر النساء جالسة، فى المكان ذاته، فى كرسيها هى، والكتاب بيدها. كانت النظارة على عينيها. قال الأمير:

- قلت: «أريد أن أراها، أيها السيد المربى» . فقال: «أنت يجب أن تقرأ درسك» . قلت: «أريد » . فقال: «إن لم تبك، حسنًا» . قلت: «لن أبكى» فقال: «عندما يذهب الملا حسين، على عينى. ولكن لدقيقة واحدة، حسنًا؟» قلت: «حسنًا» . كانت الغرفة ثلاثية الأبواب جرداء. كانوا قد لفوا السجادة إلى زاوية الغرفة. كان صوت أنينها يأتى، ضعيفًا ومتصلاً. قال السيد المربى: «أنت لا تخاف؟» قلت: «لا» كان قد أمسك بيدى. كان مرتفعًا . الصوت يأتى من وراء باب الصوان. فتح السيد المربى مزلاج الباب ورأيت مجرد عمود نور وبياض وجه منيرة خاتون. كانت أجفانها مضمومة. قلت: «يا سيدى المربى، لماذا حلقوا رأسها؟» فقال: «أنظرت إليها؟» كان قميصها ممزقًا . كان ثدياها الكبيران ظاهرين. كانوا قد شدوا يديها بمسمارى اصطبل. كان قدماها فى ماسكة القدمين. تئن. قال السيد المربى: «انظر إليها، فنذهب» قالها بصوت عال. انفتحت الأجفان والتفت رأس منيرة خاتون. تحركت يداها . سقط النور على مرفقها العارى . قالت: «أنت، يا خسرو خان؟ أتأتى

لنلعب؟» وضحكت. كان ثدياها يهتزان وهى تضحك. قلت: «إننى أخاف، أيها السيد المربى» . تناول السيد المربى يدى. صاحت منيرة خاتون: « أتأتى لنلعب، يا خسرو خان؟ أتريد أن تركب فرسًا عارية، ها؟ تركب منيرة خاتون، امرأة صاحب السمو العقْدية[٢٥]، ها؟ تريد؟» وضحكت. أغلق السيد المربى باب الصوان. كانت لا تزال تضحك، عاليًا. قال السيد المربى: « كنت قلت لك، لقد جنّت » فقلت: «لماذا؟» قال: «كووها، أمسكوا كلتا يديها وكووها بالحديد المحمر».

كان رأس الأمير احتجاب خفيضًا. على عمود ذراعيه: لماذا أحرقتُ تصوير جدى الأكبر. كان جدى قد كتب: «الميرزا[٢٦] حبيب سيد صحيح النسب. نصحنا كثيرًا. تحدث عن بحر الرحمة الإلهية وعن أن المأمور معذور» لا بد أن منيرة خاتون كانت تصرخ وتقول «ارحمنى، يا أمير، فقد غلطتُ » . كان الجد واقفًا تحت الصفصاف . أو تحت شجرة نسرين الكلاب[٢٧]؟ وينظر. كان قد أمر الخدم أن يعطوا السيد حبيب شالاً وأربعين أشرفى[٢٨]. كان كتب: « ليطل الله عمره. السيد حبيب إنسان طيب » .

وسأل: **يا سيدة فخر النساء، ماذا عن أبى؟**

ـ كان بمقدور أبيك أن يكسب المسابقة. خلال ساعة أو اثنتين، أسقط اعتبار أعمال عدة سنوات لأجدادنا النبلاء . ليس مزاحًا، تمكن

(٢٥) زوجة بعقد زواج اعتيادى (دائم) .

(٢٦) ميرزا فى الأصل تعنى ابن الأمير أى الأمير . تطور استعمالها لتؤدى معنى المتعلم ، القائم بوظيفة إدارية ، الـ (أفندى) .

(٢٧) Sweetbrier

(٢٨) وحدة نقد ملغاة ، كانت تعادل عشرة ريالات من الريال الحالى .

بأمر بسيط واحد أن يسلم شارعًا مملوءًا آدميين إلى عجلات وتروس الدبابات والمدرعات. أنت نفسك كنت تقول، ولكن المؤسف أنه نكص سريعًا.

وكان الأمير يرى أن فخر النساء، مثل ذلك التصوير، على ذلك البعد والمجهولية. ورأى الذرور فوق شعرها الأسود. وسعل. عندما هزت السعلات كتفيه، عندما وجد أنه لم يعد قادرًا.. فهم أنه ينبغي أن يبدأ، أنه يجب مهما كلف الأمر... وقالت بصوت عال :

- من أين؟

وسعل وأعدت فخرى المائدة وذهبت إلى غرفتها، أقفلت الباب وجلست أمام المرآة. مشطت شعرها وجمعته معا وأسدلته على كتفها اليمنى. وجعلت بعض الخصلات على جبينها أيضًا ونظرت إلى المرآة. نظرت إلى وجنتيها الحمراوين السمينتين ومرة أخرى مشطت شعرها وأسبلته على كتفها اليسرى. نهضت، وقفت مولية ظهرها للمرآة وحاولت أن ترى قفاها. ولكن عندما أعادت إسدال شعرها خلف رأسها، رفعت المرآة اليدوية وأمسكتها وراء رأسها ووقفت أمام المرآة. أسبلت خصلات الشعر على كتفها اليمنى. كان قفاها قد صار أبيض نضرًا. كان لها الخطان الرفيعان اللذان فى عنق سيدتها بالذات. رأت الشعر الأبيض الضائع بين خصلات الشعر الأسود. وضعت يدها، أخطأت أولاً ثم أمسكت قبضة شعر فقلعت الشعر الأبيض.

سعل الأمير. وسحبت فخرى الجرّار، خلطت وسائل زواق سيدتها، أخذت مرآة سيدتها الصغيرة، وفتحتها. فى أحد جانبيها، كانت سيدتها والأمير احتجاب يقفان جنبًا إلى جنب. نظفت الزجاجة فوق التصوير

ورأت خال سيدتها وحتى الغضنتين الرقيقتين جنب الشفتين ثم العينين اللتين تبدوان كدرتين وراء زجاج النظارة: عندما أردت أن ألبس نظارة أية ضجة أقام! قال: **« قلت صيرى فخر النساء، لم أقل قلّدى كل...»** كان وجه الأمير قد صار مثل التوت الأسود أسود. خلع النظارة وألقى بها فوق وسائل زواق السيدة .

مدت يدها إلى الجرار. كانت النظارة فى مكانها المعهود يوميًا. وضعتها على عينها. نظرت فخرى إلى المرآة، كانت عيناها لا تزالان صافيتين: لم تكن فخر النساء تطرف قط، توالى فر أوراق الكتب من أول الليل حتى منتصف الليل. وفى النهارات أيضًا. حتى عندما كانت تجلس أمام المرآة وكنت أمشط شعرها. كانت تقول: **«عزيزتى فخرى، أسدلى شعرى على كتفى. ليس هكذا»** . وتقرأ مرة أخرى. اللباس وحده يتحرك. قلت: **«سيدتى العزيزة، ما المكتوب هنا؟»** قالت: **«أتريدين أن أقرأ لك؟»** قلت: **«نعم»**. قرأت قصة قلعة الرجم. قلت: **«لكن هذا، يا سيدتى، كذب»**. قالت: **«أدرى، ولكننى أريد أن أرى كيف كان الأجداد النبلاء ينامون على أمثال هذه الأمور»**.

نظفت التصوير بتنورة فخرى. كانت فخر النساء تضحك. عبس الأمير احتجاب: كانت هذه دائمًا على هذا النحو ولكن كيف كانت تضحك تلك الليلة! أى قلب لها! وأمام الرجل أيضًا. كم خفت .

أمسكت بالتصوير أمام المرآة، ونظرت إلى نفسها أيضًا: لو أن وجهى صار أنحف قليلاً. لو أن الأمير يسمح بأن ألبس هذه النظارة .

يقول: **«ما تزال عيناك لم تضعفا بعد»**. كان يضع القلم بين أصابعي ويضغط. كان يقول: **«أنا معلمك المنزلي»**. لماذا لم ينجب؟ مع فخر النساء أيضًا لم ينجب .

قدمت وجهها إلى أمام ونظرت إلى عنق التصوير وعنقها: **« صار عنقك مثل عنق فخر النساء، فقط لو أن قليلاً..»** ليس بيدي. يلتذ دائمًا بأن يضع وجهه بين ثديي الواحدة. وبسرعة أيضًا يستولي عليه النوم. مهما قلت: **« يا عزيزي الأمير، اختنقتُ. يكفي بعد»**. فهل ينفع معه؟ يقول: **« إن جدي ينام كل ليلة مع فتاة بكر»**. يقول: **«لم أعد رجلاً، وإلا لما اضطررت إلى الاكتفاء بك»**. غادرته رجولته، ولكنه في كل ليلة يريد. ومرة أخرى يضع رأسه بين ثدييّ ويغلبه النوم. أقول: **«أيها الأمير العزيز، أنا أيضًا أريد أن أنام»**. وفوق ذلك أنا إنسانة واحدة وهذا الشغل كله. لو أردت أن أستيقظ باكرًا في الصباح، لأؤدي الأعمال، يقول: **« فخر النساء كانت تنام إلى ما قبل الظهر»**. طيب، أنا أيضًا أريد أن أنام. ولكن من سيقوم بكل هذه الأعمال إذن؟ ما الذي جرى فصار أمير ما مستعدًا أن...؟ مهما قلت: **«أيها الأمير، اعقد عليّ، لو أنني حبلت فأي تراب سأحثو على رأسي؟»** يقول: **« يا فخر النساء، هذا الكلام قبيح منك »**. لكنني لست فخر النساء. أنا فخري. شكرا لله أنه لا ينجب. وإلا فما كنت سأفعل مع بزر حرام؟ إن هؤلاء لا يفهمون أمثال هذه الأمور.

نظرت إلى التصوير وإلى وجهها ووضعت الخال دقيقًا على الزاوية اليسرى من فمها: قال الأمير: **«ضعي الخال على زاوية شفتك اليسرى، لا على خطمك الريفي ذاك»**. وضرب .

سوّدت الخال. ضحكت كالتصوير ورأت أن الغضنة فى جانب فمها عبرت من فوق الخال . فيما كانت تنظر إلى التصوير مشطت شعرها. انحنت: لو أنه رأى شعرة بيضاء واحدة..

لم تر حتى شعرة واحدة بيضاء. تركت التصوير جنب المرآة الكبيرة. فتحت مريلتها ووضعتها فى جيب ثوبها. كانت عصابة رأسها فى جيب المريلة : لو أن خصرى نحف قليلاً.. مهما فعلت لا ينحف. هاتان العينان.. ليت خالى لا ينمسح قط. عندما كانت سيدتى تقرأ فى الكتاب، كانت تضحك بصوت عالٍ. قال الأمير: **«اقرأى»**. قلت: **«أنا أميّة»**. قال: **«أعلمك»**.

نهضت. ذهبت إلى رف الملابس. مسدت الثياب. كانت كل الثياب من تُل أبيض: لم لا يشترى لى نوعًا آخر من الملابس؟ لقد زهقت روحى .

رفعت أحد الثياب، ذهبت إلى أمام المرآة، أمسكته أمام صدرها ونظرت إلى المرآة. انحنت، نظرت إلى التصوير أيضًا: كلها ياقاتها مدورة النتوءات، مثل لباس سيدتى، ذاك الذى.. كان الدم يتسرب من جانب شفتها إلى الملاءة ويزداد اتساعًا. قلت: **«ياعزيزى الأمير، ليس حسنًا أمام الميت»**. أدار الأمير وجهى وعض خدى. عدت مرة أخرى. كان جسد سيدتى يرتعش تحت الملاءة. كم كانت نحيلة! صرختُ. قال الأمير: **« نعم، هكذا حسن»**. يا لقلبه، الأمير!

تركت ثوب التل الأبيض على مقبض الكرسى وخلعت قميصها هى. كان مرفقها العارى أبيض سمينًا. انحنت وثنت ثوبها ومضت فوضعته

فى الحقيبة الحديد فى زاوية الغرفة. أغلقت مزلاجها: من الصباح حتى المساء يجب أن أوالى الكنس، لقد تعبت.

وقفت أمام المرآة ونظرت إلى مرفقيها وإلى صدرها وإلى الخط بين ثدييها وإلى الخال فى زاوية فمها وإلى بيدر الشعر الأسود المنسدل على الكتفين: دائمًا يضع رأسه على صدرى . مع فخر النساء لم يفعل مثل هذه الأفعال قط. لماذا قال: هكذا حسن، اصرخى، اصرخى!

لبست الثوب وسوت النظارة على عينيها. تقولب الثوب الآن على بدنها. كان رأسا الكتفين فقط ضيقين ويضغطان على الثديين. سوت ياقته وألقت شعرها على كتفها وثديها الأيسرين: ماذا كانت سيدتى تفعل بحيث كان شعرها دائمًا فوق ثديها الأيسر؟ تجلس وتقرأ. قلت: **«أيها الأمير، أنا أيضًا أريد أن أقرأ الكتب»**. قال: **«حسنًا، أصير معلمك المنزلى»**. فى تلك الكتب كان الكلام دائمًا عن الجد الأكبر أو عمن لا أدريهم .

أمسكت نطاق وسطها بيدها: هذا الخصر اللعين!

عقدت نطاق خصرها وجلست على الكرسى. ثنت عنقها. رفعت المرآة الصغيرة ونظرت إلى نفسها فى المرآة ورمقت، خلسة، سيدتها، التى كانت تقف الآن مائلة جنب الأمير، راحت تحدق. سوّت بيديها شعرها، ورأت أن شعرها لا يزال أشعث فمشطته: على ذلك السرير يمكن للمرء أن ينام مرتاحًا، يمتد ويمكنه أن يفرد ساقيه على طولهما ويحدق إلى السقف. ينظر إلى رسوم الأزهار والنباتات على شغل

الجص، إلى ذلك الملاك الصغير الذى خرج من زهرة البطونيا[٢٩]، إلى تلك المرايا الدقيقة. لماذا انكسر أحد جناحيه؟

نظرت إلى خالها: كانت السيدة تقول: **«أنا لا أعتقد، هذا الكلام كلام الناس العاديين، كلام أولئك الذين ينبغى أن ينازعوا من الصباح حتى المساء وليس لهم فى المساء حتى مكان للنوم»**. عسى الله يجعل الأمير ينهض فيأتى لنذهب إلى المائدة. فالطعام يبرد. الأمير على ذاك الجانب من المائدة وأنا على هذا الجانب. لماذا لا ينجب؟ أتمنى أن يكون لى عشرة أطفال، أولاد وبنات، جميلون جميعًا، مثل..

كان عنقها قد بقى معوجًا. كان شعرها السبط يلمع فى المرآة: ومنديل الرأس المثلث جيد لأمثال هذه الأماكن، إذ لا يتجمع غبار على رأس الإنسانة، ولا.. قال الأمير: **«فخرى هى التى يجب أن تنازع، لا أنت»**. إيه، حسن، إن نصيب البعض هذا وحده. لماذا أحرق الكتب؟

كانت عيناها قد تكدرتا فلم تعد تقدر أن تميز الشعرات عن بعضها. ولكنها كانت ترى الخط بين ثدييها والخال: لم لا ينهض؟ ما علته اليوم بعد؟ عسى ألا...

عندما ضحكت، رأت أن الغضون حول شفتيها اتسعت. مهما نظرت لن ترى الخال وسط الغضون جنب فمها. كانت خطوط وجهها ترتعش. كان الشعر كتلة منسابة سوداء تمتد إلى ما فوق ثديها الأيسر. لم تكن عينها ترمش وراء عدستى النظارة السميكتين وكان بمقدورها

(٢٩) Petunia (Garden)

الآن أن ترى هناك، فى المرآة، بين تلك الخطوط المرتعشة والكبيرة والجارية، سيدتها، فخر النساء: ليت يصير لى أطفال. مهما قلت: **«إذن، فلا أقل، هات خادمًا كى تقوم بهذه الأعمال»**. يقول: **«فخرى قادرة عليها»**. قلت: **«لوحدها؟!»** قال: **«تستطيع، أدرى أنها تستطيع»**. مسّد على شعرى، وقال: **«يا فخر النساء، لا فخر عندك ولا غرور»**.

كان عنقها طويلاً وثدياها يشغلان حجماً أكبر: لو أنه اتخذ خادماً، واحدة تغسل كل هذه الـ... أنا بمفردى لا..

أغلقت المرآة الصغيرة ووضعتها فى الجرار وأغلقت الجرار. وضعت يديها على مقبض الكرسى ودفعت ظهرها إلى وراء: ليته ينزل . كيف يمكن للخادم أن تبقى فى هذا البيت، كل هذا العمل وهذا الإنسان الباحث عن الذرائع؟ ثم لو أن الأمير كمن، فى المطبخ أو وراء الباب، وعندما تريد فخرى أن تمر حاملة الصينية يقرص كفلها ويضع يده داخل صدر بنت الناس..؟

وقالت بصوت عالٍ: **ولكن أيها الأمير، هذه الأعمال قبيحة، حركات أطفال وفى زمن الشيخوخة؟!**

قال الأمير: **كان لجدى الكبير مائة امرأة متصيَّفة وعقدية، مائة، وفوق هذا، كل ليلة واحدة. فكرى فى الأمر، يا فخر النساء، ما كان يترك حتى المطريات. والآن، أنا معك أنت وحدك...**

سعل الأمير وسمعت زجاج النوافذ الملون يهتز.

قالت فخر النساء: **طيب وما ربط هذا بالآن، ومع خادم منزل أيضًا؟ أنت أميرا وهى خادم! لو فهم الناس، لو علم أولاد العم غير اللح وبنات الخالة اللح!**

قال الأمير: **إلى جهنم !**

قال الأمير: **أتدرين، يا فخر النساء، كان جدى الأكبر قد أصدر أمرًا بأن يكووا منيرة خاتون. وضعوا حديدًا محمرًا على ذلك الموقع إياه الذى...**

فقالت فخرى: **وما أدرانى؟ فى هذه الكتب لم يكتبوا هذه الأشياء، ومعرفتى بالقراءة أيضًا..**

قال الأمير: **ما أزال أسمع صوت صراخها. بحديد محمر، يا فخر النساء! لا بد أن الجد قال: « سيحسب الآخرون الآن حساباتهم » .**

وسعل. كانت فخرى لا تزال جالسة أمام المرآة : فى تلك الأيام لم تكن تترك الأمر يظهر على وجهها . كانت تنظر إلىّ من وراء زجاج نظارتها فقط .

اختلست النظر. كانت سيدتها جالسة فى المرآة بتينك العينين اللتين تحدقان إلى المرء من زاوية النظارة. نظفت المرآة بمنديلها الأبيض. تداخلت خطوط جسدها: قلت: **« أيها الأمير، ذات يوم عندما صعدتُ إلى فوق، كانت صينية الشاى بيدى، قالت السيدة..» فقال الأمير: «خادمك». قلت: «قالت يا فخرى، أنت أيضًا تلتذين؟ قلت: كلا**

يا سيدتى . قالت: لماذا تضحكين مقهقهة إذن؟ قلت: لأنه يضع يده فى صدرى . قالت: أفنمت معه حتى الآن؟ فقلت: لا يا سيدتى» .

نظر فى المرآة. كانت عيناه محدقتين ولا ترمشان. رأى خطى غضون جبينها الرقيقين. قال :

- هذا قبيح، يا فخرى، إذن ففى الأقل..

قالها بصوت عال. مد يده وأراد أن يرفع القدح عن الصينية الفضة: لا تقصير عندى . لو كان الأمير يريد، لو أن السيدة تكتفى بالجلوس.. لماذا كانت نحيلة إلى هذا الحد؟ كان مرفقاها نحيفين مثل عودين. كانا أبيضين .

بقيت يده فى الهواء. كانت صينية الشاى فى يد فخرى الواقفة فى ذلك الجانب، فى الظلمة، عاقدة مريلتها واضعة المنديل المثلث على رأسها. مد يده وأخذ القرطين فعلقهما فى أذنيها. برق القرطان. أدارت رأسها. اختلست النظر إلى قرط أذنها اليسرى: يليق علىّ أيضاً!

وضع أصابعه فى بيدر شعرها وأسبله على الخط بين الثديين. رفع العقد أيضاً، كان ثقيلاً: ليته اتخذ واحدة تقوم بهذه... فأنا لا أستطيع. كم ينبغى أن أغتسل! كم كان بدن السيدة أبيض! كانت جلداً وعظماً. كان نهداها صغيرين وأبيضين ومدورين. بطنها...

كان العقد يبلغ الخط بين نهديها. كان على الشعر. لمست حباته بأصابعها واحدة واحدة: لم تكن السيدة تحب هذه قط. كانت عندها كل

تلك المجوهرات، جرار صدفى مملوء. تجلس أمام المرآة وتضعها فى عنقها واحدة فواحدة. كانت تقول: **«عزيزتى فخرى، انظرى أهى حلوة علىّ؟».**

قالت بصوت مرتفع: **وعلىّ أيضًا حلوة، وكم هى جيدة .**

كانت تقول: **«عزيزتى فخرى، الأفضل أن تذهبى أنت فتنامى، أنا أبقى منتظرة، أظنه تخلف مرة أخرى عند إحدى موائد القمار تلك». قلت: «سيدتى، أنا أيضًا أبقى منتظرة » .**

اختلست النظر، محدقة، إلى فضاء الطرف الآخر وإلى المستوقد الذى كان نصفه قد انطبع فى المرآة، وقالت:

ـ أبقى مستيقظة حتى الصباح إلى أن يأتى الـ..

رفعت الأساور ولبستها واحداً بعد واحد: لا تزال ضيقة. هذه الأصابع! كانت أصابع السيدة نحيلة وبيضاء. أظفارها.. لكن عندما تكون الواحدة، من الصباح حتى المساء، مع كل هذه الأوانى...

قالت: **ليته اتخذ واحدة.**

نظرت إلى برق الأساور فى المرآة والفضاء جنب المستوقد حيث كانت فخرى ما تزال واقفة، وراء سيدتها: كان الأمير واقفًا فى الظلمة، كان يمسد بيديه الباردتين على جسد فخرى العارى. ذهبت إليه بطيئًا. وضعت يدى على كتفه، قلت: **«أيها الأمير، هذا قبيح، إذن ففى الأقل عقد عليها مثل جدك الأكبر»** لم يلتفت الأمير، كان يقبل عنق فخرى. طوّق

خصرى، خصر فخرى، بيده، وقال: **«أنا لا يصير لى أطفال، يا فخر النساء»**. قلت: **«فهاتها، لا أقلّ، إذن إلى السرير، لا يصير هنا»** قال الأمير: **«حسنًا، انتظرى أنت قليلاً فقط »** . خرجت من الغرفة . إنهما لا يزالان ملتفيّن على بعض، فى تلك الزاوية .

وقالت: **وما شأنى أنا..**

ونظرت محدقة. أقامت عنقها: شفتا السيدة، عندما لا تصبغهما بالأحمر، كم كانتا بيضاوين! وكانت أسنانها بيضاء أيضًا. صغيرة .

تناولت صبغ الشفة الزهرى ومسحته على شفتيها: يجب أن أبقى منتظرة، حتى لو لم يأت إلى الصباح. لو لم يكن أحرق الكتب لأمكننى مثل سيدتى.. قال الأمير: **«يا فخر النساء، لقد تقدمت جيدًا. يمكنك الآن أن تقرأى..»** عندما كانت سيدتى تتعب كانت تذهب إلى النافذة، تضع مرفقيها على حافة النافذة وتنظر إلى خارج. كان الخارج أظلم. كانت رائحة الصنوبر تأتى من وسط البستان، ورائحة زهر الياس .

وقالت بصوت مرتفع: **اذهبى أنت فنامى، يا عزيزتى فخرى .**

كانت فخرى فى الطرف الآخر، وراءها، واقفة. كانت قد وضعت يديها فى جيب مريلتها وراحت تنظر إلى كتفى سيدتها، فخر النساء، النحيفتين: لماذا كانت تنظر إلىّ على ذلك النحو فى الحمام؟ إلى يدىّ، إلى رجلىّ؟ تحدق إلى نهدى الصغيرين الأبيضين والمدورين. عندما تمشط شعرى، كانت تقول: **«سيدتى، كم شعرك سبط ! » وكنت أقول : « يا فخرى، انتبهى كى لا تقتلعى شعرى »** .

مدت يدها على شعرها، كان ناعمًا. نهضت . لم يعد الآن يأتى : لا رائحة الصنوبر ولا رائحة زهر الياس: مجرد علف وحشى. لماذا باع ذلك البيت؟ قال لعلى حيدر البستانى، أبى: «ولٍّ، ما عدت أريد أن أنظر إلى الزهور الـ...». يأتى متـأخرًا ليلاً. علىّ أنا أن أبقى منتظرة حتى يعود الأمير سكران. يزمّر بالبوق بلا انقطاع. كان حيدر على البستانى وزوجته نائمين. أذهب فأفتح الباب. يُخرج الأمير رأسه من زجاجة السيارة، ويقول: **«يا عزيزتى فخر النساء، لا تزالين صاحية؟ لا بد أنك كنت تقرأين كتابًا. وأنا فى المقابل خسرت ذلك السهم من أرض..»** ثم يضحك ويقول: **«ها! أنت، يا فخرى؟ أين سيدتك إذن؟»** لماذا ينادينى فخر النساء؟ كانت فخر النساء جالسة إلى جانب النافذة تشم رائحة الصنوبر والآس. عندما يترجل الأمير، تمسكه من تحت إبطه ويضع الأمير رأسه على كتف فخرى. يصعدان السلالم معًا. يلقى الأمير يده حول خصرى، حول خصر فخرى. يا للرائحة التى تنبعث من فمه! كان رأسه ساخنًا. كنت أمسح جبينه، الذى كان مضمخًا عرقًا. كان مراد يمسك، من فوق فسحة السلالم، تحت كتف الأمير ويقوده إلى أعلى. يسقط ظلاّهما على السلالم. يوشك الأمير أن يسقط. كان مراد يقول: **«أيها الأمير، هذه الخيل.. هذه العربات..»** وكان الأمير يقول: **«إلى جهنم، إلى جهنم!»**. ويقول الأمير: **«يا مراد خان، من مات حديثًا، ها؟»** ليت ممكنًا أن أنظر كالسابق من النوافذ وأشم رائحة الصنوبر والآس. كل ما هنالك أصيصا زهر إبرة الراعى(٣٠) وشجرة صفصاف واحدة، وفى هذا المنزل بهذه

(٣٠) Geranium

الحيطان العالية، لماذا باع الأمير ذلك المنزل؟ وحيدة لا يمكن. وسرّح حيدر على البستانى أيضاً، مع زوجته وطفليه. قال: «**لا يحتاج هذا البيت إلى بستانى**». قال حيدر على: «**أيها الأمير، لقد خدمت هذه العائلة أربعين سنة. أين يمكننى أن أذهب الآن؟**» قال الأمير: «**إلى المقبرة**». قال حيدر على: «**فماذا عن ابنتى إذن، أيها الأمير؟**» قال الأمير: «**ماتت فخرى، يا حيدر على. فخرى ماتت**». امتلأت الحديقة الآن بالعلف الوحشى. ارتفع إلى وسط الصفصاف. واحسرتاه على ساق ورد قرنفل واحد! كله زهر صغير وأصفر. لو لم تكن زنبقتا الماء[31] وتلك العرشة الملتفة حول جذع الصفصافة..؟ حتى ماء الحوض لا يدعنى أجدده. يقول: «**أريد أن يكون ماؤه كما هو أخضر**». تموت واحدة واحدة. ويصطاد الغراب واحدة يوميًا أيضاً. عندما أرى بطون السمك البيضاء مطروحة على الماء وبقية الأسماك تحيط بها يستولى علىّ البكاء. أنهض مبكرة صباحًا كى أجدد ماء الحوض بنفسى. كل ذلك الماء. وصارت سدادته مُحكمة. امرأة وحدها، بلا مساعد! رششت الماء دلوًا دلوًا فى الحديقة. نقلت السمك إلى حوض. يا لكثرة السمك! صاح الأمير، من النافذة: «**أفلم أقل، لا أريد..**» ومرة أخرى شغّل المحرك فملأ الحوض. عندما يخرج يقفل الباب. فليأت بواحدة إذن لتكون لى، فى الأقل، معاشِرة. لو أن فخرى كانت موجودة...

نهض. أغلق باب غرفته ورقى السلالم إلى أعلى. لماذا كان يقول: «**يا مراد خان، من مات مؤخرًا؟**» فلم يعد عند الأمير أحد. مجرد بضع

(٣١) النيلوفر .

أبناء عمومة وبنات خالة لحا وغير لح. كما أنه لا يراهم من طلوع السنة حتى انتهائها. لم يحدث قط أن خرج بى ذات يوم. يا للضحكة التى يضحكها! احترق حلقومى. كان مراً. قلت: **«أيها الأمير، أنا لا أشرب».** قال: **«يا فخر النساء، يجب أن تشربى».** وضرب. دائمًا يضرب بظاهر الكف، وفى وجهى أيضًا، هذا الجانب. فى البدء سخن جبينى ثم يداى. قال الأمير: **«اشربى أيضًا، يا فخر النساء».** قلت: **«لا أريد».** نظر إلىّ. خفت. لماذا صار نحيلاً هكذا؟ كالمغزل. شربت. مرة أخرى شبت النار فى حلقومى. كان رأس الأمير يهتز، ذهب إلى ذلك الجانب من المنضدة وجلس على كرسيه، قال: **«يجب أن تشربى جرعة فجرعة».** وشرب هو أيضًا وشربت أنا أيضًا. كم كان الأمير بعيداً! نزلت الثريات الثلاث جميعًا إلى أسفل، كانت تهتز قال: **«يا فخر النساء، قلت اشربى»** كنت أريد وامتدت يدى نحو الكأس ذات الساق الطويلة التى كانت ما تزال نصف ملآى. إن الإنسان ليسخن. كان الأمير بعيداً. كنت أراه من وراء ماء الحوض. كانت المياه تتماوج.

أوكأ يده على الحاجز وصعد: لكم يضحك! بكيت. قال: ***«يا فخر النساء، جيد لك، ابكى، ولكن اشربى بقيته أيضًا».*** قلت: **«لا أريد، رأسى».** فصرخ: **«يجب أن تشربى».** قلت: **«لا، لا أشرب».** نهض. كان قصيراً. كان يلوح بيده. اقترب وجهه واقترب. كانت مياه الحوض متموجة. أمسك برأسى وصب فى فمى فنزل وانسكب على النهدين وفوق ثوبى. قلت: **«يا عزيزى الأمير، ثوبى!»** قال: **«إلى جهنم، واحدًا آخر..»** قلت: **«لا أريد أن ألبس هذه الثياب. فى الأقل اشتر لى ثوبًا آخر، من**

نوع آخر». فقال: «يمكنك أن تلبسي ثوب فخري وتشدي عصابتها على رأسك». قلت: «لا، لا أستطيع، لا طاقة ليدي على كل هذا العمل».

كان الأمير جالساً في كرسي تَمدُّدِه. كان قد وضع رأسه بين يديه. كان يعرف أن فخر النساء تقف الآن تتنصت وراء الباب فسعل. عندما انفتح الباب أدارت فخر النساء مفتاح الكهرباء : لماذا تجلس دائمًا في هذه الغرفة ؟

دق الأمير الأرض برجله:

ـ أفلم أقل لا تصعدي إلى فوق ، يا فخري؟

كان رأسه لا يزال بين يديه. شمت فخري حتى رائحة الغبار الذي تصاعد: ماذا يفعل في هذه الغرفة؟

أدار المفتاح. أظلمت الغرفة: لماذا علق تلك الصور على الجدران؟ وضعت فخر النساء زهرة القرنفل في زاوية فمها. وهذه الحديقة مليئة بالعلف الوحشي أيضًا . مع كل هذه الورود الصغيرة والصفراء. حسن أن أضع زنبقة ماء في زاوية فمي .

كان قد أغلق الباب وها هو مرة أخرى في بيت السلم : ما علته الليلة؟ لا تفغ أي رائحة من فمه. منذ وقت طويل لم يعد يشرب العرق. يمكن للواحدة أن تحمي وتقدر ـ بدون أن تمد على نفسها يداً ـ أن تصير فخر النساء .

كان قد هبط السلالم درجتين درجتين. ذهب إلى غرفة الطعام : كان جيداً في الأقل أنه لم يبع هذه الثريات، هذه السجادة. يا لكثرة طاسات الصيني الصغيرة ! وكم من الأقداح والأصص كانت على الرف.

وإطار المرآة الصدفى القابل للانزلاق الذى كان عليه ثمرة أترج. وتلك الدواة الفضة المشغولة بالتخريم. كانت فخر النساء تقول: **«هذه فيروز».** وقال اليهودى: **«أيها الأمير، عندى مشتر جيد لهذه الثريات».**

قال بصوت عالٍ: **ليمت!**

جلست وراء المنضدة. أمامها، على ذلك الجانب من المنضدة، كان كرسى الأمير الخالى: يجب أن آكل شيئًا. فأنا لا أستطيع، ووحدى أيضًا، ببطن خالية.

صبت لنفسها طعامًا: كل هذا الطعام، نريده لأى غرض؟ يقول: **«أنت لا شأن لك».** لو كان يأتى إلى البيت كنت أجلس قبالته. إن لم يجئ.. فالطعام فى المطبخ لا ينزل من حلقومى .

ألقت بالمنديل على ساقها: كم كانت سيدتى تأكل حسنًا! بطيئًا بطيئًا. تتناول بأصابعها الممشوقة والبيضاء السكين والشوكة فى يديها، تتناول قليلاً من كل لون. تشرب جرعة جرعة وتفرغ كأسها ذات الساق الطويل. لم أرها قط تدوخ. كانت تقول: **«أيها الأمير، فكر بشيخوختك، إذ إننى راحلة».** قال الأمير: **«كان لجدى الكبير كثير من الأملاك. ومهما فعل جدى وأبى أيضًا لم يتمكنا أن يبيعوها كلها».** قالت فخر النساء: **«إذن فأنت تفكر فى..؟»** فقال الأمير: **«نعم»** وقالت فخر النساء: **«وعلى مائدة القمار أيضًا؟»** قال الأمير: **«هذه هى الطريقة الوحيدة».** قالت فخر النساء: **«فبضع فتيات أبكار إذن...»** قال الأمير: **«لست أهلاً لذلك».** قلت: **«أيها الأمير، اتخذ خادمًا إذن».** فقال الأمير: **«وما شغل فخرى إذن؟ فكم شخصًا نحن؟»** قلت: **«لكن، بمفردى..»** قال الأمير: **«ستفعل**

شيئًا ما، لا تشغلي بالك بعملها. اشربي شرابك فقط» قلت: **«إذن، ففي يوم المحشر..»** فصاح: **«هذا الكلام هراء. اشربي شرابك يا فخر النساء»**.

رشفت جرعة من شرابها، صار طعمه أفضل: لو لم أشرب ليلة واحدة، لا يمكن أصلاً.

شربت مرة أخرى. قال الأمير: **«اشربي قليلاً قليلاً، كي يؤثر»**.

شرب جرعة أخرى: فأنا لا أستطيع. هو يشرب سريعًا سريعًا وأنا يجب أن... لو أنه اتخذ بستانيا، فماء الحوض هذا أيضًا...

كان الأمير احتجاب قد تناول الكأس بيده. كان الشراب أحمر قانيًا وكانت الثمالة الآن تترسب. كانت الثريات قد هبطت إلى أسفل، إلى ما فوق المنضدة. وصارت فخرى، لا، فخر النساء، وراء تلك البلورات الملونة قطعة قطعة. لم يكن ظاهراً إلا عيناها. العينان اللتان أطّرتهما بشادر الصلاة ذاتهما. سوداوان حيّتان.

فرغت الكأس طويلة الساق. سكب مرة أخرى: مهما قلت: **«عزيزتي فخرى: عندما يداعبك الأمير لا تضحكي بهذا الارتفاع..»** فما كانت البنت لتبالي. عندما يأتي الأمير في منتصف الليل يذهب مرة أخرى إلى غرفة فخرى، في سرير النوم القديم ذاك. يحتضن فخرى. يلف ذراعي فخرى حول عنقه ويدفن رأسه في شعرها. يقول: **«يا فخرى، اضحكي عاليًا كي لا أسمع صوت سعال فخر النساء، اضحكي عاليًا»**. وكانت فخرى تضحك. تقول: **«يا فخر النساء خانم[٣٢]، لماذا أنت بهذه النحافة؟ لماذا لا تقولي فيأتي الدكتور أبو نواس ويفحصك ؟ إذن ففي الأقل**

(٣٢) سيدة .

لا تشربي هذه الكثرة من الشراب. قلت: **«وما الفائدة؟ هذا سل وراثي، جدي، جدتي، الأمير، أمه أيضًا، ولكن العمات.. لكثرة ما شرب أبي عرقًا، من قدر ما تناول أفيونًا صار جلدًا وعظمًا. لم يبلغ الأربعين ولكن شعره كان أبيض كله».**

ومرة أخرى رشفت جرعة. كان الأمير جالسًا هناك. رأسه مطأطأ.

- أيها الأمير، لا أدري، ولكن كما لو أنه لم يبق لك شيء.

وشربت مرة أخرى: كم كانت فخر النساء عديمة الرحمة! كانت تقول: **«أيها الأمير، لقد جلست كي أرى متى تسقط في هوة الإفلاس وتبيع هذا البيت»** فقال الأمير: **« أنا لا شأن لي بإرثك ومجوهراتك »** قالت: **« لم يبق شيء، انتظر» .**

رفعت الكأس. قلت: **«أيها الأمير، في الأقل إذن، هذه الأساور وهذا العقد...»** قال: **«حسنًا، هذه أيضًا لك » .**

فرغت الكأس الطويلة الساق. نهضت فخر النساء. كانت قد صارت خفيفة. صار ثوبها التُل الأبيض واسعًا عليها، حتى رأسي الكتف. قالت:

- يا عزيزي الأمير، لا بد أن تأخذ واحدة.

قال الأمير: **أعرف بنتًا اسمها فخري، بنت ذاك البستاني الذي طردته، ما رأيك بها؟**

قالت: **لا بأس، قل لها إذن أن تجمع المائدة.**

قال الأمير: **حسنًا، اذهبي أنت فنامي، يا فخر النساء.**

واتجهت فخر النساء إلى الباب، وقالت:

- عزيزتى فخرى، عندما ينتهى عملك اصعدى إلى فوق.

وذهبت إلى الردهة ورقت السلالم: مرة أخرى تأخر. ولكننى أبقى منتظرة، إلى أى وقت كان. لماذا أحرق الكتب؟ كنت قد بدأت لتوى أقرأ بلا خطأ. عندما يتأخر كنت أجلس جنب النافذة وأقرأ. يتكأكأ الفراشون على رأسه. يخلعون لباسه. يمزقون لحم بدنه بمبارى القلم ويدفعون الشمع إلى لحم جسده. يعزفون المزامير. ولا بد أن الناس اجتمعوا أيضًا وراحوا يبصقون فى وجهه. يشعلون الشمع. يمسك فرّاشان به من تحت إبطيه ويقتادانه. ويصفق الناس. كان الجد ينظر بالناظور من فوق مبنى الحكومة. تحترق الشموع والناس... لا بد أن دمع الشموع يساقط على بشرته. من كان؟ والطلاب أيضًا، حتمًا، يبصقون ويقولون: **«أيها الملعون الخبيث!»**.

دخل غرفة النوم: أدرى أين، لا أريد ضياء .

ذهب وجلس على سرير النوم، خلع حذاءيه. وضع ساقًا على ساق. كانت ساقاه قد حميتا: قلت: **«عزيزتى فخرى، ألم يأت الأمير بعد؟»**.

قالت: **«لا»** قلت: **«تلفنى إذن كى يأتى الدكتور أبو نواس»**. فقالت: **«قطع الأمير الهاتف»** وقد أقفل الباب أيضًا. لماذا كان يفعل هذه الأشياء؟ يذهب صباحًا ويأتى عند منتصف الليل. يمضى إلى غرفتى، غرفة فخرى. كان يقول: **«اضحكى بصوت عالٍ، يا فخرى »** . وعندما لا أضحك يدغدغ أخمصى قدمى أو تحت إبطى، أو يضربنى. يضع رأسه بين ثديى ويطبق أذنيه بكلتا يديه. وعندئذ نبقى أنا وفخرى، لا، أنا وفخر النساء، امرأتين وحيدتين، من الصباح حتى المساء فى ذلك البيت

مع تلك الجدران. تنظر فخر النساء إلىّ، خلسة، من وراء زجاجتى النظارة. كنت أقول: **«سيدتى، أنا لست مقصرة»** فتقول: **«أدرى، أنت طيبة»**. ومرة أخرى تسحل .

تمددتْ على السرير: ليتنى كنت أوقدت النور. لو جاء الأمير سيوقده هو، يقول: **« أنائمة، يا فخر النساء؟»** فأتظاهر بالنوم. يأتى فيتمدد جنبى. لماذا يجب دائمًا أن... يقبل حتى أصابعى. تلك الليلة أية ضجة أثار! قلت: **«ماذا أفعل؟ بمفردى لا...»** قال: **«ما شأنك بتلك الأمور؟ أنا أدفع المال كى تنجز فخرى أعمال البيت كى تجلسى فقط فترتبى نفسك أو تقرأى كتبًا. خمس سنوات وأنا أكد وأكدح صباح مساء كى تتعلمى شيئًا»** وعندئذٍ قمت فى منتصف الليل واغتسلت مرة أخرى. ينبغى أن أضع عطرًا دائمًا، فى شعرى، فى صدرى، على يدىّ. ولكن أفتذهب رائحته؟ كان قد جلس أمام المستوقد يلقى بالكتب وسط النار. كان يقول: **«يا فخر النساء، قلّبيها، كى تحترق تمامًا. لا أريدك أنت أيضًا..»** قلت: **«أيها الأمير، هذه ذات قيمة عالية »** . قال: **«قلبيها، يا فخر النساء»**. أمسك بالتصوير أمام وجهى، قال: **«انظرى إلى جدى الكبير»** كان جده الكبير جالسًا متربعًا وقد ترك يديه على فخذيه الضخمتين. كان يتكئ على وسادتين أو ثلاث. كان يجلس على السرير المرصع، قال الأمير: كان السيف على ساقه. كان شاربه كثًا، بتينك الذؤابتين المفتولتين. لم تكن عيناه مرئيتين تحت حاجبيه الكثّين. ضحك. ضحك عاليًا جدًا بحيث إننى فزعت. أغلق الكتاب ورماه وسط النار التى كانت تشتعل. أحسست الحرارة. كان قد بدأ من أول الليل. لكم قلّبت.

النار تتعالى. يداى تحرقان. سخن وجهى. كان هو جالسًا على الكرسى، وقد صف الكتب حوله، فوق بعضها بعضًا، كاللبِن. كان يرفعها واحدًا واحدًا ويلقى بها وسط النار. يقول: **«قلّبيها، يا فخر النساء»** أفتنتهى؟ لا يحترق إلا أطراف الكتب. تبقى أواسطها بيضاء كما كانت. أقلّب. يحمر الورق، يلتم على نفسه، يسودّ ويشتعل. لفتنى الحرارة. يواصل القول: **«قلبيها، يا فخر النساء»**. كانت مذكرات الجد الكبير. غلافها الجلدى لا يحترق أصلاً. قال الأمير: **«لقد نسى حتمًا أن يكتب كيف أمر بأن يبنوا كل أولئك البشر، أحياء، بالجص. لا بد أنه نسى أن يكتب كيف قطع رأس ذلك الصبى من الأذن إلى الأذن. حقًا، يا فخر النساء، ألا تدرين لماذا قتل جدى أمه، وفى بيت السيد أيضًا؟»** لماذا يسألنى أنا؟ السيدة فخر النساء أيضًا لم تكن تدرى. ولكنها كانت تقول: **«ربما كانت نامت مع البستانى أو...»** تمسك الأم بيد ابنها وتجلبه عند الجد الأكبر، فتقول: **«لا أدرى ماذا يا مولاى، هذا الطفل لا يطيع أوامرى، لا يفعل غير أن يلعب بطيوره، يهرب من الكتّاب. مروا فرّاشى الخلوة..»** ويصيح الجد الكبير بدوره: **«يا رئيس الجلادين!»** أمسك بصورته أمام وجهها. كان طويل القامة، بشاربين معقوفين، بجاكتة سردارى. كان يلبس جزمة. قال الأمير: **«كان لباسه أحمر، غير واضح فى التصوير»**. كان يقف ويده على صدره. ويأتى الجلاد أيضًا. يُجلس الطفل على الأرض. يقول الجد الأكبر: **«أتتعهد، أيها الصبى، ألا تطيّر طيورًا بعد؟»** ويبدأ بالسير وقرع جزمته بالسوط. كما أن الجلاد يغرز إصبعى يده اليمنى فى أنف الصبى ويسحب رأسه إلى أعلى ويضع حد الخنجر على

حنجرته. كان الأمير يمشى، صاح: **«تتعهد بأن تذهب للكتاب، ها؟»** وقرع السوط على جزمته. ويضع الجلاد من جانبه قدمه على فخذ الصبى الذى كان جالسًا مقيدًا على الأرض. يلتصق الصبى بيد الجلاّد. لا ينبس حرفًا. لا بد أن فمه كان مفتوحًا. من أين إذن كان يتمكن أن يتنفس؟ وربما كان حشرج أو قال شيئًا لم يسمعه أحد. يقول الجد الكبير: **«أتتعهد أن تطيع أوامر أمك بعد هذا؟»** ويقرع بالسوط على ساق جزمته. وضرب الأمير أيضًا. عندما ترى أم الصبى أن ابنها لا يفعل غير أن يحشرج، تقول: **«لا أدرى يا أيش العالم، تجاوز عن تقصيره. بأيشكم المبارك اغفر له»** فيصيح الجد الكبير من جانبه: **«لا تقطع، يا جلاّد!»** فيقطع الجلاد ويرمى بالرأس المقطوع أمام قدم الجد الأكبر. قال الأمير: **«لم يكن أى جلاد قد سمع حتى ذلك اليوم: لا تقطع.. قلّبى، يا فخر النساء»** قلّبت. كم كانت الكتب كثيرة! جلست عند النار حتى الصباح. قال: **«يا فخر النساء، هذا ما يتعلق بمديح الجد الأكبر، هذا ما يتعلق برحلة خراسان»**. ثم كان يلقى ثلاثة فثلاثة ويصيح: **«قلّبيها، يا فخر النساء»**. يا للرماد الذى تجمع فى المستوقدَ! كان الأمير جالسًا على ذلك النحو، فى تلك الغرفة، على ذلك الكرسى. أطّر الصور ووضعها فى غرفته. قال: **«لمَ لم تقولى كى لا أحرق تصوير الجد الأكبر؟ كم كان يتحرق كى يكون إلى جانب هذه»**. قلت: **«أنا لم أكن أدرى»**. كما أنه لا يترك باب البيت مفتوحًا قط، بهذه الجدران العالية وهذا الصفصاف. لو كان يدع فى الأقل أن يأتى أحد ما فيغير ماء الحوض... السمك. يقول: **«يجب ألا تذهبى إلى تلك الغرفة»**. أقول: **«ولكن، أيها الأمير، أفلم تر**

مقدار الغبار الذى استقر على التصوير؟» ثم أنه يذهب كل ليلة إلى تلك الغرفة، وحيداً مفرداً. أى سعال يسعل! ينحنى فوق كتابه. كنت أمسك كتفيه. عندما ينقطع سعاله، يتناول يدىّ بيديه البيضاوين الصغيرتين ويقول: **«أنت طيبة، يا عزيزتى فخرى»**. وعندئذٍ ماذا فعلتُ، أمام وجهه! لم كان يفعل تلك الأفعال؟ عندما كانت السيدة فخر النساء، هناك فى الأعلى، تتلوى على نفسها.. أى لون صار لها! كاللبن. لا ينى يعبث بى. يأتى إلى سريرى. كنت أقول: **«أيها الأمير، ليس حسنًا أنك..»** كان يقول: **«ما الذى ليس حسنًا.. جدى الأكبر..»** كله الجد الأكبر، صاحب ذلك التصوير الجالس متربعًا، بذلك الشارب الكث وتلك السردارى المزينة بصورة الشمس المرصعة ، الذى وضع على صدره كل ذلك الدر. لماذا كان يبنى الناس بالجص؟ كانت السيدة فخر النساء تقرأ هذه الأمور ولذا كانت تزداد نحولاً يومًا بعد يوم. ومع ذلك، أنا مع الأمير، وأمام عينيه، مقابل جنازة سيدتى. لكنه ليس تقصيرى. جاء إلىّ. لم أكن أستطيع أن أقول لا. قال: **«يا الله، اضحكى مقهقهة، أريد أن أسمع صوتك»**. كيف كنت أستطيع؟ كانت السيدة فخر النساء فوق، فى سرير نومها. دم... قلت: **«يا عزيزى الأمير، السيدة قضت نحبها عصراً »**. كانت عينا السيدة كدرتين عكرتين. احتضننى. من أين جاءته القوة؟ صعد بى السلالم، كل تلك السلالم. قرع الباب، قال: **«أتتفضلين بالسماح؟»** قلت: **«أيها الأمير، سبق أن قلت لك إن عينيها مثبتتان على طاق السقف»**. كان الدم قد انهمر من زاوية فمها على خالها. يا للعينين! ضحك الأمير، قال: **«أفضل»**. وفتح الباب. أدار مفتاح الكهرباء مشعلاً

إياه. كانت السيدة فخر النساء بلون وجهها المرهَق، نائمة على السرير بطولها. كان دم زاوية فمها قد تخثر. تحت عدستي نظارتها السميكتين كانت العينان لا تزالان مفتوحتين، مثل قدحين أبيضين. قلت: **«أيها الأمير، انتهت».** قال: **«اخرسى أنت».** سحب الأمير الغطاء على وجه فخر النساء. رفع جسدها النحيف الخفيف وأخذه فوضعه فى زاوية الغرفة، على الأرض. عندما انسحب الغطاء مرة أخرى إلى وراء وجرى الدم مرة أخرى على خد فخر النساء، رفع الأمير النظارة ورماها. أية عينان! كان الدم يتسرب إلى الغطاء. كنت راكعة قرب السيدة. لم أكن أبكى. كنت قد غطيت وجهى بالمريلة كى لا أرى السيدة، هناك، تحت ذلك الغطاء الأبيض.. حشر الأمير يده داخل ياقتى ومزّق ثوبى من وراء. انحنيت، فوق سيدتى. قلت: **«ماذا تريد أن تفعل، أيها الأمير؟»** رفسنى. سقطت وسط الغرفة، على ظهرى. مزق المريلة وقميصى. ومزق قميصى التحتانى أيضًا. أية عينان! حمراوان، مثل قدحى دم. قال: **«عجلّى البسى».** كان ثوب عرس السيدة التُل فى يده، ألقاه على جسدى. كنت عارية. قلت: **«أيها الأمير، بالله عليك لا تفعل. لا تفعل هذا».** أمسك مرفقى ورفعنى، على قدمىّ. ألصق يدىّ وسحبهما وضرب، بخمسة أصابع. فتح عصابة رأسى. أمسك بشعرى، قال: **«انظرى يا فخر النساء، ماتت فخرى، ماتت».** كان لا يزال يشد شعرى من وراء رأسى. كان الدم يرشح. قلت: **«ارحمنى، أيها الأمير، إن السيدة..»** كان الثوب التُل فى يده. كان ثوب السيدة. قال: **«اجلسى».** جلست أمام المرآة. فى المرآة كانت فخرى ما تزال هى التى تبكى. كانت وسائل زينة السيدة على المنضدة. أمام المرآة مشطت شعرى. ثم وضعت خالا. لم يكن الأمر

بيدى. كانت يدى ترتجف. قال الأمير: **«ضعى الخال فى زاوية فمك اليسرى، يا فخر النساء».** لم أكن أستطيع. وضع هو الخال. يدا الأمير لا ترتجفان، كان ينظر إلى من المرآة. كان مبتسمًا. بإبهامه مسح الدموع. لم تكن السيدة فى المرآة. كانت فخرى. لا تبكى. ليتنى كنت أسعل، مثل سيدتى. احتضننى وجاء بى إلى طرف السرير. وتمدد هو أيضًا إلى جانبى، عاريًا. كان يضحك ويُمر يده على بدنى وجسدى، على ساقىّ. يضع رأسه بين شعرى. أدرت رأسى. كانت السيدة هناك، متمددة بطولها، تحت ذلك الغطاء الأبيض الذى ترشح إليه الدم. كانت نظارة السيدة ملقاة فى زاوية الغرفة، على السجادة. كانت كتبها فى الأرفف وعلى المشكاة وفوق الطاولة. أدار الأمير وجهى، دغدغنى، قال: **«اضحكى، يا فخر النساء، اضحكى».** نظرت إلى سيدتى وإلى الدم الذى كان ينز مجددًا. كان جسد السيدة طويلاً ونحيلاً. صفع الأمير وجهى وصرخ: **«عزيزتى فخر النساء، أنت لم تكونى هكذا».** فقلت: **«لكننى لست فخر النساء».** وأراد. أنا لم أرد. كنت فقط أنظر إلى السيدة وإلى نظارتها التى كانت ساقطة على جانب الأترج الكبير فى السجادة. قال: **«لماذا لا تضحكين مقهقهة، يا فخر النساء؟»** كان قد وضع يده على مرفقى، ينظر إلى. استند إلى ذراعه اليسرى. كان نائمًا ظهره إلى ظهر السيدة. لم أستطع أن أرى نظارة السيدة. قال: **«تخافين، يا فخر النساء؟»** مسح الدموع. مد إصبعه فوق وجهى وعلى شفتى وأنفى. مرة أخرى مسح الدموع. قال: **«أنت تخافين، ها؟»** اكتفيت بالنظر إلى السقف وزهور وأغصان التجصيص وإلى ذلك الملاك الذى كان بين زهر البطونية... قال الأمير: **«ليت أحدهم يطفئ المصباح . أنت لا تخافين،**

يا فخر النساء؟» أطبقَ أجفانى . ليتنى كنت أسعل كالسيدة . ليت النوم يستولى عليّ. ليتنى أموت .

كان الأمير احتجاب مطأطأ الرأس، على عمود ذراعيه. كانت فخر النساء جالسة، الكتاب بيدها، فى الجانب الآخر، فى كرسى الراحة الدوّار ذاك إياه . كان ساق زهرة القرنفل لا يزال فى الزهرية . كان الجد جالسًا فى كرسيه . سعل الأمير. اهتزت النوافذ.

قالت: **«انظر، أيها الأمير، هذه أنا»**. كانت قد وضعت إبهامها فى فمها وراحت تمص. كانت جنب الجدة. كانت إحدى يدى الجدة على فخذها . كانت جالسة على مقعد، مقيمة رأسها . وكان رئيس المصورين موجوداً أيضًا . لا بد أنه قال: **«انظرى، أيتها السيدة الكبيرة، هنا»**. والتقط التصوير. كانت قد احتضنت بيدها اليسرى فخر النساء. كان إلى جانبها الأيسر زهرية فيها سيقان زهر طويلة. وراء الزهور، لم يكن يُرى غير الساق الطويلة والبيضاء للنافورة. قلت: **«فخر النساء، سيدتى العزيزة، أكان شعرها أبيض دائمًا؟»** فقالت: **«بقدر ما أذكر، دائمًا»** لا تفعل غير أن تمص إبهامها . ترسل العمة الصغرى المربية قمر إلى بيت الميرزا معتمد، زوجها الأول، أن: **«اعطوا الطفلة كى يجلبوها، أريد أن أربيها بنفسى»**. كانت الطفلة تغفو فى المهد، تمص إبهامها . قالت المربية قمر: **«أواه، أيتها السيدة الكبيرة ، كم هى جميلة ! بالله عليك ألا يهضمك أن تكبر طفلة بهذا الجمال بلا أم؟»** كانت الجدة قد قالت: **«كان واجبًا على منيرة خاتون أن تُعمل فكرها قبلاً، لا الآن إذ فات الوقت»**. فقالت المربية قمر: **«لم تكن السيدة مقصرة. صاحب السمو تفضل بالقول تطلقى، فقالت على عينى»**.

لم يكن الميرزا معتمد راضيًا. عندما يخرج من دار الحكومة ـ كان يركب العربة ـ يصل إلى جانب النهر، فيرى الناس متجمعين. وكان فراشو الحكومة أيضًا مع الميرزا معتمد، والغلمان أيضًا. يقول: **«انظروا ما الأمر»**. ينهمر الفراشون ويُرجعون الناس إلى وراء بضرب الهراوات. كان ثمة حمار بنصف روح على شاطئ النهر. كان الناس يشربون دمه. يعنى إلى هذا الحد كان القحط بحيث يشرب الناس دم...؟ طيب، معلوم، كان الجد والملالى قد احتكروا الحنطة فى صوامعهم. عندما كانت تتعفن، كانوا يسكبونها مساء فى النهر. ولم يكن المطر ليسقط أيضًا. كان النهر جافًا يابسًا. يعود الميرزا معتمد إلى دار الحكومة. يسلم الجبة، خلعة الأمير، مع حمالة الأقلام إلى أيدى الخدم كى يأخذوها إليه ويذهب إلى بيته هو ويغلق الباب. ومهما أرسل الجد من ناس، كان الميرزا معتمد يقول: **«لم أعد أمارس الخدمة»**.

كان طفلاه قد ماتا، واحد فى سنة الوباء، والآخر على الولادة. يبعث الجد رسالة مؤداها أنك يجب أن تطلق الست نيرة خاتون وإلا.. يكتب الميرزا معتمد على هامش الرسالة: الأمر الأعلى مطاع. كان قد كتب: **«كل ما حصل عليه هذا العبد لله فى خدمة حضرة صاحب السمو ملك لعبيد عتبة ناشر العدل الأفخم الأمجد»**. وأنه **«متى ما تفضل سموه بالأمر سيقدمه، أما فيما يتعلق بالزوجة المكرمة، الست نيرة خاتون، فسيعمل بما يتفضل به حجج الإسلام والشرع الأنور»**. يذهب الفراشون فيشدون، حسب الأمر، الميرزا معتمد إلى فلقة ويجلبون أيضًا نيرة خاتون. أكانت حبلى أم لا؟ لا أدرى. ولم تكن فخر النساء أيضًا تدرى،

ولكنها قالت: **«ربما كانت»**. إذن يرسلون فخر النساء فيما بعد إلى بيت الميرزا معتمد. يطلقون العمة الصغرى طلاقًا ثلاثيًا، فى حضرة إمام الجمعة. كان من المقرر أن يعطوا نيرة خاتون إلى ابن الوزير الأعظم كى يقوى موقع الجد. ولكن الوزير يتعرض للغضب. كما أن الجد ينصرف عن هذا العمل .

تقول المربية قمر: **«أيتها السيدة الكبيرة، اعطنى الطفلة آخذها هناك. لقد اشتاقت نيرة خاتون كثيرًا للطفلة، فالطفل يريد أمًا»**. تقول الجدة: **«ما عند الأم؟ ها؟»** وقالت المربية قمر... لا أدرى، قالت شيئًا فمدت الجدة يدها إلى جيب ثوبها وسحبت ذلك المنديل الكبير. كان وجه المنديل مملوءًا بالملهيات. قالت فخر النساء: **«تتناول الجدة منديلاً يزديًا[٣٢] كبيرًا وترش فى أطرافه وثناياه السكر وتعقده بخيط»**. قالت: **«انظرى كل هذه الملهيات، يمكننى بهذه وحدها أن أكبّر طفلتى»** .

يرسل الجد فراشين. يأخذون الميرزا معتمد إلى مقر الحكومة، حيث الجب. ولكن مهما فعلوا لا يعثرون على فخر النساء ولا على الجدة. ينهبون كل شىء ذا قيمة. ويختمون البيت بالشمع والمهر. لا بد أن الجد فهم أن الجدة قد ذهبت تشتكى إلى العاصمة. يضع أشخاصًا عند البوابات. ولكن الجدة تذهب بحمار مستأجر وخادم واحد من طريق غير مطروق كثيرًا. وتأخذ فخر النساء معها أيضًا. كانت تركب الحمار، وفخر النساء إلى جانبها أيضًا. كان الخادم يمسك لجام الحمار. تمضى الجدة إلى بيت إحدى سيدات الحرم فتعتصم، السيدة أنيس أو واحدة أخرى.

(٣٢) قطعة قماش بمربعات ، يكون اللون الأحمر الداكن غالبًا فيها ، اشتهرت مدينة يزد بصناعتها .

تتوسط السيدة أنيس كى يكف الجد عن الميرزا معتمد. كان الميرزا معتمد قد صار جلداً وعظماً فقط. كانت آثار القيود والأغلال ظاهرة على يديه ورجليه. كتب إقراراً نصُّه: **«أودعت كل أملاكى طائعًا راغبًا ووهبتها للأمجد الأفخم، صاحب السمو».** لا يعيد الجد الأملاك، لا يعيد إلا البيت ويأخذون بالحسبان أيضًا راتبًا ـ ومن جانب الجد الأكبر.

أعطوا العمة الصغرى فيما بعد إلى إمام الجمعة. أتذكر ذلك جيداً. لم تمض سنتان حتى عادت. كانت تذهب فى بعض الأحيان مع الخدم لرؤية فخر النساء. لم تكن فخر النساء تذكر غير العينين السوداوين. كانتا تبدوان من شق الباب. كانت تنظر فقط وتذهب، قالت فخر النساء: **«كانت الجدة تقول إذا ما ذهبت إلى الباب سيكوونك، مثل أبيك. انظرى كيف وسموه».** كانوا قد وسموا ظاهر كفى الميرزا معتمد، الجد فعل ذلك، كان يريد أن يعرف أين وضع بقية المال. كان الميرزا معتمد يجلس وراء المنقل، مرة يجلس صباحًا، ومرة عصراً. فى هذه الفترة ما كانت فخر النساء تفعل؟ مع تلك الجدة العجوز بيضاء الشعر التى نصبت، فى التصوير، عنقها مستقيماً. وكان عندهم زهر أيضًا، يمكن معرفة ذلك من هذه الأصص. وكان ثمة حوض أيضًا. كانت فخر النساء تذهب، حتمًا، إلى الحديقة، بين الزهور. تتكلم مع الزهور. تقتلع زهرة قرنفل وتضعها فى زاوية فمها. وكانت الجدة تجلس، حتمًا، فى الإيوان وتمسك ما تحيك بيدها وتقول: **«يا بنت، لا تذهبى إلى الباب، ها!».**

كانت فخر النساء تمضى إلى الحوض أيضًا، عند الأسماك. كان أبوها لا يكف عن الأنين. هى نفسها قالت: **«ينام منذ الصباح حتى**

المساء على ضلعه الأيمن وتروّح له جدتى». أما فخر النساء فتجلس، حتمًا، قرب النار، أمام أبيها. تجلس عند المغرب. فهى فى الصبح والعصر فى المدرسة. كانت الجدة تأخذ فخر النساء إلى المدرسة وتجلبها منها. كان الجد قد زايلته هيبته، وإلا فقد كان يقدر أن يستعيد فخر النساء. كان ثمة فخر النساء والجدة وذلك الأب المقعد وكل تلك الكتب، حديقة وحوض وباب تتطلع العمة الصغرى من شق فتحته. كان الميرزا معتمد يقول، فيما هو يئن أو وهو غاف: **«اقرئى، يا عزيزتى»**. كان شعر فخر النساء طويلاً، ووجنتاها.. وجنتاها؟ لا أدرى، ربما كانتا بيضاوين كما فى الأيام الأخيرة.. بيضاوين أو حمراوين.. بيضاوين أو حمراوين؟ كان التصوير أسود وأبيض. لا بد أن شارب الميرزا معتمد كان رماديًا، وشعر رأسه خفيفًا... والأنف؟ كان يتكئ على الوسادة ويتناول الأفيون، ويقول: **«اقرئى، يا عزيزتى»** .

كان راتبهم قليلاً. كان عند الجدة مجوهرات كثيرة، فباعتها واحدة واحدة. وباعوا الكتب أيضًا وحتى العتيقات. بقيت من مجوهرات الجدة أشياء وصلت إلى فخر النساء. يصحون ذات صباح فيجدون الميرزا معتمد ميتًا. كان قد مات فى فراشه، مفتوح الفم وفى زاويتى فمه زبد أبيض وعيناه مسمرتان مرة أخرى بالسقف. كان عمر فخر النساء عشر سنوات، هى قالت. لا بد أنها كانت نحيفة بتينك الغضنتين الرقيقتين إياهما قرب الشفتين والخال فى زاوية الفم اليسرى. وثوبها.. أى ثوب؟ أبيض؟ ربما. وتلك النظارة. كلا، لا بد أنها صارت تستعمل النظارة فيما بعد. كان حيدر على، خادمهم، قد قال لفخر النساء: **«إن العمل عمل**

الحكيم أبي نواس». لا يدرى أحد إن كان الجد كان يفعل من تلك الأمور. لم يكن قد بقى لدى الميرزا معتمد شيء كى يشفطه الجد. كانت الجدة تقيم مع خادمهم وزوجته وفخرى. كانت فخرى صغيرة، حمراء وبيضاء. لا بد أن العمة الصغرى أرسلت ناسًا كى تأخذ الطفلة . ولكن الجدة لم تعطها. قالت فخرى: **« لم تعد الجدة تستطيع أن تسير، تجرجر نفسها على الأرض وتأتى إلى الإيوان ، فوق السلم وتحدّق فاغرة الفم إلى الباب » .**

ظهرًا أو عند العصر عندما تعود فخر النساء.. كانت فخر النساء ترتدى لباسًا فوقانيًا من الخام المصبوغ. تفتح الباب والحقيبة بيدها فترى الجدة جالسة على السلالم، وراء النافورة. أكان الأصيص بجانبها؟ تركض، كانت تركض الشارع بطوله. يتخلل الهواء شعرها ولباسها الخام الفوقانى. تهز حقيبتها . وكانت الجدة تفتح كلتا ذراعيها، حتمًا، وترى كيف أن حفيدتها تركض بساقيها الصغيرين هذين. ترى شعرها إذ يتلاعب به... ثم تحتضنها . تقبل فوق خالها وتعيد ـ بإصبعها العجوز المرتجف ـ بضع خصلات شعر سقطت على جبين حفيدتها . كان الأمر على ذلك النحو، ربما .

فيمَ كانت الجدة تفكر؟ ربما كانت تريد أن تبقى حية وتجرجر نفسها من داخل الغرفة إلى الردهة ومن هناك إلى الإيوان ومن هناك إلى حافة السلالم ثم تجلس منتظرة. ولكن ذات يوم لن يعود بمقدورها، حتمًا. تحتضنانها ، فخرى وأم فخرى. كانت فخرى لا تزال صغيرة، لم تكن تستطيع. تمسك أم فخرى وحيدر على تحت إبطيها . وبعد ذلك.. بعد ذلك..

ماذا؟ لم لم أسأل فخر النساء؟ تصل العمة الصغرى بضع مرات إلى أول طريق المدرسة وتُركبها العربة. قالت فخر النساء: **«فى البداية خفت أن يأخذونى فيكوونى».** يجعلون فخر النساء تجلس أمام وجهها وتنظر إليها. لابد أن فخر النساء كانت تريد النظر إلى الخارج من نافذة العربة. قلعتُ عينيها، حسنًا ما فعلت. ولم تكن فخر النساء مرتاحة.

قالت: **«فى البدء تجلس وتنظر إلى، وتقول بعدئذٍ: أنت ابنتى، تعرفين أن أباك الأفيونى ذاك غير جدير بى. ينبغى ألا تخافى منى».**

(لابد كانت تقيم رأسها). تعبس فخر النساء. تهزّ إصبعها : **« أنت ابنتى، يجب أن تفخرى بى، فأنا كنت زوجة إمام الجمعة طيلة سنتين، امرأة السيد حسن المجتهد**[٣٤]. **أتفهمين؟»** ثم تضحك. حسنًا، وفيما بعد.. ماذا بعد؟ عندما لم تعد الجدة تستطيع أن تجلس فى الإيوان، عند حاشية السلالم...؟

النافورة والأصيص والجدة بشعرها الأبيض وفخر النساء التى تمصّ إصبعها الإبهام . وكان كبيرّ المصورين موجوداً أيضًا. ثم..؟ ثم تموت الجدة، على سجادة الصلاة أو فى السرير أو على الإيوان . لا فرق، تموت. تبقى فخر النساء وذلك البيت الكبير وفخرى وحيدر على وأم فخرى. وتموت أم فخرى أيضًا. ترحل على الولادة. تزوج حيدر على فى بيتى مرة أخرى. كم كان إنسانًا ملحاحًا! جاء ليقول: **«أنا وابنتى معًا. كل من أراد ابنتى عليه أن يريدنى أنا أيضًا »**.. ألقيت به خارجًا.

(٣٤) أى : الذى أنهى دراسة الفقه وصار من حقه الاجتهاد (أى : الإفتاء) .

غير ممكن، لو أننى أفسحت له المجال فإن فخرى، عندما ترى تلك اللحية البيضاء الكثة وقامة أبيها القصيرة ويديه العجوز، ستدرك أنها فخرى، لا فخر النساء. فعلت حسنًا. وكان حيًا بعد سنتين أيضًا. كنت أعطيه مالاً. قال: «**إن لم تعقد على فخرى فسأخرج أمامك معترضًا**». قلت: «**اذهب فكل أى خراء شئت**». أعطيته مالاً. فى كل شهر كنت أوصل له راتبه فى الموعد. كنت قد استأجرت له غرفتين. كان يجلس على حافة الإيوان ويدخن الـ جُبُق[٣٥]. لماذا يجلس العجائز دائمًا على حاشية الإيوان، أو حافة الحوض؟

تزوجت العمة الصغرى، بعد ذلك بزمن طويل، عندما توفى جدى. لم تنجب. الأصيص والنافورة... عندما ماتت جدتى.. كم كان سيصير جيداً لو كان لى تصاوير لفخر النساء أيضًا ! لكنت علقتها جميعًا فى هذه الغرفة بالذات .

كانت واقفة عند جدول الماء.نحيلة طويلة بذلك الثوب الأسود. كان مرفقاها عاريين، أبيضين أبيضين. ألقت شعرها المضفور وراء رأسها. كان عندها نظارة. كان ثوبها ذا كسرات، كسرات دقيقة، حول الخصر. وفى حاشية تنورتها شريط تُل أبيض، ذو كسرات. كان ساقاها نحيلين أبيضين بتينك الجزمتين السوداوين قصيرتى الساقين. كانت واقفة. رأيت صفحة وجهها، الأنف والعين وخط عنقها. كان عنان الحصان فى يدى. وكان مراد أيضًا موجوداً، أو لم يكن . فخر النساء كانت.

(٣٥) غليون بدائى الشكل مبسمه طويل ومستقيم .

نظرت إليها. نظرت إليّ، من وراء زجاجتي النظارة إياهما. كانت عيناها ما تزالان حيتين وسوداوين. أدارت رأسها. أكان مراد موجوداً؟ حتماً. لأنني ركبت مرة أخرى، وقد ساعدني مراد. سلمت الحصان بيد مراد. التفتُّ، من بين الأشجار، ذلك المكان الذي كان مظللاً وتقع هنا وهناك بقعة نور على الأوراق والغصون. وأصوات العصافير أيضاً كانت تصل. كسرت غصناً من الشجرة. كانت هناك، في انتهاء ذلك المجاز الأخضر الطويل، داخل نور الشمس المبهر الذي يصفع العين. كان الغصن في يدي. كانت واقفة وتنظر. تبتسم، تلك البسمة المرة إياها التي عندما يراها المرء يتمنى لو أنه أخفى وجهه أو أن يذهب فيقف أمام المرآة ذات الحجم الطبيعي فيتملى وضعه على نحو دقيق. عدت. كان الغصن في يدي أجرد تماماً، كنت قد نزعت كل أوراقه. قلعت آخر ومن بين الأشجار ذهبت إلى حافة الحوض، عند أولئك الصبايا الحجريات اللائي ينهمر الماء من أفواههن إلى داخل الحوض. كن عاريات تماماً، بأثداء صغيرة وبطون بارزة. نظرت إلى الماء، كان شعري مشعثاً، عدت. كانت لا تزال وراء الأشجار، على الجانب الآخر، تقف في الشارع المفروش بالحصى. مررت من جنبها، من طرف الشارع الآخر واستدرت من جانب جدول الماء. لم أنظر إلا إلى الماء، إلى الأوراق التي كانت تمضي فوق الماء، فإذا بها تقول فجأة: **«يا خسرو خان، عسى ألا تكون عاشقاً، ها؟»** التفتُّ. كانت هي نفسها بتلك الابتسامة وتينك العينين وذينك الخطين جنب الشفتين.

ليتني كنت ابتدأت من هنا بالضبط، لا من ذلك التصوير الحائل الباهت لجدتي وتلك النافورة وذلك الأصيص. مضى الآن. أدري أنني لم أنطق كلمة. جاءت، جاءت بنفسها ووضعت يدها تحت ذقني. رفعت

رأسى. البسمة ذاتها. ليت بالإمكان أن أمسح تلك البسمة بطريقة ما. فخرى لا تستطيع، لا تستطيع قط أن تبتسم على ذلك النحو. مهما فعلتُ لم تتمكن. تفتح فمها فتكشف عن أسنانها الكبيرة وتضحك، وبصوت عالٍ أيضًا. الحمقاء! ولكن فخر النساء.. كما لو أن ثمة فى مجموع تلك الخطوط جنب الشفتين وتينك العينين وحتى استدارة الشفتين شيئًا يخيف الإنسان. يحس المرء كم هو صغير وتافه، وليكن حفيد حضرة صاحب السمو. ليتنى مت.

سعل الأمير احتجاب. سعل بصوت عال ممطوط واهتزت كتفاه.

كانت يداها نحيفتين وبيضاوين. كان الثوب الأسود محكمًا على جسدها. قالت: « **يا خسرو خان، احمررت؟ عجيب جدًا! داخل هذا البيت وبين كل هذه العترة والعصمة، وأنت أيضًا بهذا القد والقوام! حتمًا...** » .

من أين كانت تدرى؟ إذ مع منيرة خاتون فقط.. قال الجد: « **أكنت تلعب؟** » كان يجلس على سريره متربعًا. نظرت إلى صوف صدره. كان الجد يلبس صديريًا. كانت يدى فى يد أمى. كانت يد الأم ترتجف. قال الجد: «**اتركى يده، فهو ليس طفلاً**». وقالت الجدة: «**ليس الطفل مقصرًا**». سأل الجد بهدوء: «**مع من كنت تلعب أيضًا، يا خسروخان؟ عدا منيرة خاتون أى فرس عارية أخرى ركبت، ها؟**» قلت: «**ركبت..**» لم أقل، كنت أريد أن أقول: نصرت السادات، عندما ضرب. ضربنى جدى على رسغ رجلى. يا للصراخ الذى كانت تصرخه، منيرة خاتون!.

كانت منيرة خاتون فى الحرم، تقف إلى جانب الدعامة. كان شعرها قصيرًا، كما الأولاد، كان على جسدها ثوب مورد طويل. كانت تخبط فى

الماء. صارت نحيلة. كان قفاها ظاهرًا، أبيض، يذلك الشعر الرقيق. ذهبت إلى جانب الدعامة. لم تنظر إليّ، ولا نطقت بحرف أيضًا. اكتفت بالانحناء على ماء الدعامة ومرة أخرى خلطت الماء. تموج الماء واهتزت صورة منيرة خاتون. تموج شعرها. كنت قد وقفت على أصابع قدمى. سكن الماء. لماذا تقف دائمًا عند الدعامة وتخلط الماء؟ انحنت على الماء ونظرت. كانت قد صبغت شفتيها بالأحمر. بماذا؟ لا أدرى. حتى ذقنها كان أحمر أيضًا. لم يكن أحمر شفاه، حتمًا. كان إثنان من أسنانها الأمامية ساقطين. قلت: **«ماذا تريدين أن ترى، يا منيرة خاتون؟»** فقالت: **«ها قد ظهرت مرة أخرى، ظهرت مرة أخرى، يا خسرو خان؟»** كانت دائمًا تقول هذا. فقط وتنظر وتخلط الماء ومرة أخرى تنظر إلى الماء، فى الأمواج. عمّ تبحث؟ اقتربت من جافة الدعامة ونظرت. كان ماء الدعامة صافيًا. لم يكن فيه سمك. سقطت صورة الأرجيلة فقط فى الماء، فى الطرف الآخر من الدعامة. قالت: **«أرأيت، ياخسرو خان؟»** قلت: **«ماذا، ماذا؟»** فقالت: **«عندما يختلط الماء انظر»**. وخلطت الماء. نظرت، لم يكن ثمة شيء، مجرد وجه منيرة خاتون الذى كان يستطيل، يتموج وينكسر فيصير قطعة قطعة. وبعدئذٍ كان وجه منيرة خاتون مرة أخرى بذلك الشعر القصير وتينك الشفتين الحمراوين. قلت: **«تصويرك فقط»**. قالت: **«أنت لا تستطيع أن ترى. وصاحب السمو أيضًا لا يستطيع. أنا وحدى التى تستطيع، أنا وحدى»**.

قال السيد المعلم: **«مجنونة، لا تذهب قربها»**. قلت: **«أتمنى أن أرى»**. قال: **«ماذا؟»** قلت: **«لابد أن منيرة خاتون ترى شيئًا فى ماء الدعامة بحيث تنحنى دائمًا وتنظر»**. قال: **«مجنونة، يا خسروخان. بينت لك أنها مجنونة»**. قلت: **«يا منيرة خاتون، أتريدين أن نلعب، ركوب الخيل؟ إننى**

أتمنى». صرخت: **«رأيت، رأيت»**. كانت قد انحنت فوق الماء، كان الماء قد تموج. قلت: **«ماذا؟»** كانت تنظر إلى الموج فقط. ما الذى كانت تراه. لماذا اهتممت بمنيرة خاتون؟ فخر النساء.. ليت كان عندى تصوير. أصيص.. زهر القرنفل.. أمسكت فخر النساء يدى. يا لها من يد خفيفة، يدها! ذهبنا إلى الأشجار، داخل ذلك المجاز الأخضر الطويل نفسه الذى يبلغ الظل والجانب الآخر من الأشجار، إلى بئر الأبقار وذلك العمود الجبسى. انحنت، التقطت بضع حصوات ووضعتها فى كف يدى. نظرت إلىّ، كانت تضحك. كانت البسمة إياها. تحت برق الشمس لا يمكن الاختفاء فى أى مكان. قالت: **«اضرب»**. قلت: **«ماذا؟»** قالت: **«فأنت شارد جدًا، أيها الأمير، كان جدك الكبير يفرح فقط بأنه يستطيع كل صباح أن يركل عظام أعداء أجداده، عظام نادر[٣٦] والزندية[٣٧] الرميمة، بينما تخاف أنت حتى من أن ترمى حجرًا على هذا الإنسان الذى بنوه بالجص منذ ما لا يقل عن عشرين سنة. لا تخف، أيها الأمير. عجّل اشرح قلب جدك. فلقد كان هذا الخادم آكل الحرام كاتب تقارير للصدر الأعظم فى زمانه، أبى قال. صدّق. عندما يفهم الجد، يأمر بأن يبنوه هنا تمامًا، على هذا المرتفع، بالجص كى يرى كل شىء على نحو جيد ويكتب التقارير عنه.**

(٣٦) نادر شاه (١٦٨٨ – ١٧٤٧) راعى البقر الذى صار ملكًا على إيران إثر ثورته على الأفغان وعلى الأوزبك ، الذين خطفوه وجنّدوه ، ثم فرّ من أيديهم . وكانوا قد أسقطوا أصفهان عاصمة الدولة الصفوية . وقد فتح آسيا الوسطى وقسمًا من الهند إلى دلهى . وقد نقل آقا محمد خان ، مؤسس السلالة القاجارية ، عظامه وعظام كريم خان ، إلى قصره فبناها بالسلالم كى يدوسها مرات كل يوم تشفيًا !

(٣٧) سلسلة أسسها كريم خان (١٧٠٥ – ١٧٧٩) ، وقد حكمت إيران من سنة ١٧٥٠ لغاية ١٧٩٤ .

كان الحصى فى يدى وهناك على القاعدة الحجرية التى يُرقى إليها ببضع درجات، فوق، كان ثمة شكل مبهم جصى لإنسان. كيف أننى لم أعرف الأمر حتى ذلك الوقت؟ قلت: **«لم أكن أدرى. لم يقل السيد المعلم شيئًا »**. قالت: **«والآن إذ عرفت، لماذا أنت واقف؟ أسرع ارجمه»**.

من كان كاتب التقارير هذا؟ اسمه؟ فخر النساء أيضًا لم تكن تدرى. قالت: **«واحد من خمسة عشر مليون إنسان. ما الفرق؟ كان إنسانًا»**. أنا نفسى أوعزت بأن يهدموه. لم أذهب، قلت أن يدفنوه هنا بالضبط. وكان مع ذلك، فى جدار بئر البقر وحتى... ملأوه. لماذا كان يفعل هذه الأمور؟ كان أبى إنسانًا طيبًا، يقول مراد، كان مراد يعرف أبى جيدًا. قالت فخر النساء: **«قتل كثيرين، ولكن حسن أبيك أنه لم يكن الأمر يجرى أمامه، أنه لم يكن يوميًا، أنه فى ساعة واحدة و.. تمام. دفعة واحدة ما بين مئتين وخمسمئة جريح وقتيل»**.

قالت فخر النساء: **«حسنا، لنذهب، فى عروقك لا توجد حتى ولا قطرة واحدة من دم أجدادك الكبار»**. ألقيت الحصى. كان الأب جالسًا فى الغرفة خماسية الأبواب، ظهره مسند إلى وسادة. كانت مخدة موضوعة تحت ساقه، ومنقل النار أمامه. وكان إلى جانبه الأيسر والأيمن وسائد أيضًا. كان الميرزا نصر الله ينفخ له. قال الأب: **«يا للسرعة التى تعارفتما فيها!»** كان شارب الأب رماديًا. كان ينفث الدخان من أنفه وفمه. لم تقل فخر النساء شيئًا. كنت قد أطلقت يدى. كنا نتجول فى الغرف عندما وصلنا إلى هناك. قال الأب: **«حسنًا، اذهبا فتعرفا على بعضكما أكثر»**.

قالت فخر النساء: **«لقد كتبت نيرة خاتون رسالة قالت فيها إننا، نحن الاثنين، يجب أن نتزوج مع بعضنا بعضًا »**. قالت فيما بعد. لم تكن تقول قط: أمي. كانت تجلس في الإيوان وتقرأ كتابًا. عندما ذهبت إلى جانبها، جنب درابزون الشرفة، قالت: **«أيها الأمير، لا تقف عاطلاً هنا. ليس الضياع جيدًا لك. يجب أن تقوم بشيء»**. كنت أذهب للصيد، في سيارة جيب. لا لطف فيه. كنا نطارد الغزلان حتى تسقط منهارة. تتدلى ألسنتها من أفواهها. كم هي حمراء! ترتجف بطونها، بتلك السيقان الصغيرة والعيون البديعة السوداء وتلك النظرات الحائرة الخائفة. لم يكن يلهيني غير الورق. ثلاثة ملوك وامرأتان. عندما كنت أرى يد الخصم ترتجف ويرتعش ما تحت عينه أو أراه يطفئ سيجارته في المنفضة.. من أجل هذا ذهبت نحوها. ينبغي أن أتخلص من الأملاك على نحو ما. عندما خلَت يدى كنت ألعب بالكرة .

كانت فخر النساء تقول: **«ليس هذا شغلاً، إنك لتخدع نفسك. يجب أن تمارس عملاً هو عمل، يسوّد في الأقل صفحة من التاريخ. احمل بندقية واذهب عند سور البستان واستهدف شخصًا يمر من هناك فارمه. ثم قف وتفرج على نَزعه. أما إذا كنت لا ترتاح لشخص معين، فإن رأيت أن هذا الشخص يقرأ بيت شعر خطأ أو يتمخط أو حتى إنه وضع قدمه على مصطبة بيتك كي يعقد شريط حذائه، فلست مجازًا بأن تستهدف رأسه. إن انتخاب الشخص كلما كان أكثر عشوائية كان أفضل. إن من يبحث عن مبرر لقتل إنسان هو قاتل وكذاب، وفوق هذا دجال يريد أن يخدع نفسه. لو أنك أردت أن تقتل فلا حاجة بك إلى سبب. ينبغي أن**

تستهدف رأس الشخص، صدره، وتضغط الزناد، فقط. انظر، تعلم من أجدادك الأكرمين. عندما كانوا لا يجدون صيدا كانوا يضربون البشر، وحتى الأطفال. يقفون وينظرون، إلى الأيدى والأرجل التى تتجمع وتتحرك وإلى تلك العيون التى تحدق إلى المرء مبهوتة».

كانت تضحك، بلا صوت، بتلك الخطوط إياها جنب الشفتين والعينين اللتين لا ترمشان من وراء زجاجتى النظارة. أنا لم أكن أقدر أن أستقر داخل البيت. أجىء فى منتصف الليل، سكرانًا، كى لا أرى، كى تكون خطوط وجهها قد هدأت، كى تكون خلعت نظارتها، كى تكون أغمضت الأجفان. ممددة بطولها على السرير، بذلك القميص الأبيض وذلك الشعر المنشور على الوسادة . كانت تقول : **« أطفئ المصباح ، أيها الأمير » .**

قال الأمير احتجاب بصوت عالٍ:

ـ كانت هذه و.. و..

وسعل.

ما الذى كان يخطر وراء ذلك الجبين الصافى؟ كيف يمكن الاستقرار فى محل تينك العينين والنظر من وراء تينك الزجاجتين السميكتين إلىّ، إلى فخرى، إلى العتيقات، وإلى سطور الكتب وإلى المرآة التى تعكس الخطين الرقيقين على الجبين على نحو أعمق يومًا بعد يوم؟

لو أننى استطعت، كالأجداد الأكرمين، أن أجلس تحت شجرة نسرين الكلاب، على العرش المرصع، وأصدر الأوامر للخدم، للجلاد بأن يجلبوا المحكوم.. ينبغى تقييد يد المحكوم، ومن وراء أيضًا . كان جزاؤه

ليلة، أسبوعًا أو شهرًا فى حفرة الديماس، القيد فى الرجل والسلسلة فى اليد. النور؟ ربما كان ضياء فتحة السقف الطاقى كافيًا. ماذا يمكن لهذا الشعاع عديم اللون فى تلك الحفرة الرطبة؟ ربما أمكن للغبار وحده أن يميز مسير النور عن ظلمة الحفرة. ينبغى الجلد بالسوط. لو أن جنابنا حاضرون، فلابد أن ذلك أفضل. ينظر الفراشون إلينا فيضربون أشد. ينبغى إلقاء كيس مليء بالأشرفى أمامهم. كلما ارتفع الصراخ ينبغى أن يجلد الخدم أشد، وكلما جلدوا أشد يتعين أن ينتظروا صرخات أعلى. تحت نسرين الكلاب، فى الظل البارد مع العطر الذى ملأ الفضاء كله. ينبغى عدم إحداث أى خدش فى بشرة وجهه. أمرنا بتحريم ذلك... إذ ينبغى إرسال الرأس هدية إلى مركز الولاية أو إلى عاصمة الممالك المحروسة وتلقّى الإنعام عنه. يمدون النطع. الجلاد، أيريد لباسًا أحمر؟ حتمًا. ولابد أن يصل شاربه إلى الأذن. برق الخنجر. الخنجر فى طية شال الجلاد. ونحن إذ أمرنا أن يوقدوا التنور من أول الليل، نعرف أن ثمة الآن بيدرًا من النار، عليه طبقة من الرماد، حاضرًا. ينظر الجلاد إلينا. نهز رأسنا المبارك. إصبعا الجلاد فى منخرى المحكوم. أى محكوم؟ كائنًا من كان: شخص يكون لرأسه قيمة، يكون وراء غضون جبهته شىء لم نطلع عليه. ولكننا ندرى أنه مضر، إذ... يضع الجلاد الخنجر على حنجرة المحكوم ونجلس نحن بانتظار نافورة الدم ونأخذ غصن نسرين فى أسناننا. يفور الدم. يهتز المحكوم، أو لا؟ فأنا لم أر. كان الجد والجد الأكبر قد رأيا الكثير ثم.. ثم شعر المحكوم الدامى فى يد الجلاد. وأرى عينى المحكوم المغوصتين. ولو أننا حتى انهصر فؤادنا، أو من أجل حفظ جبروت قدرتنا القديرة فقط، يجب أن ننظر إلى

الدم والرأس والجسد عديم الرأس الذى سقط على الأرض مقيد اليد وراح يهتز، وإلى الفراشين والجلاد الذى جعل الرأس على سيخ فيضعه فى التنور، وسط النار جميلة اللون، كى يسهل سلخ جلد الرأس .

ينبغى سلخ جلد الرأس وإلا فستنبعث منه رائحة، وفى طول كل هذه الطريق وهذه الطرق غير المأمونة. عندما ملأوا الرأس تبنًا وجلبوه إلى محضرنا المقدس كيف يمكن معرفة ما الذى كان يدور وراء ذلك الجبين وحلقتى العينين الواسعتين والخاليتين وهذا الفم عديم الأسنان، ربما لهذا السبب كان الجدود الأكرمون يلقون بالمحكوم أولاً فى الديماس. وربما لأنهم لم يكونوا يستطيعون أن ينظروا من الفتحة أو حتى من شق الباب كانوا يضعون كاتبًا سريًا على المحكوم كى يسجل كل حركاته وكلماته ويقدمها إلينا ليلة فليلة. كان الكاتب السرى ينظر ويكتب. ولكن، إذا كان ذلك الملعون لا يئن حتى، أو يغلبه النوم، ها؟ كانوا يوقظونه ركلاً. إلى جانبه طاس ماء ورغيف خبز.

لو أن المحكوم علم أن شخصًا جالس هناك، فى الظلمة وعلى ذلك الكرسى أو طبقة الجلد، وينظر إليه ويكتب، لكان حتمًا سيخفى نفسه وراء جلده (الجلد الذى يمكن سلخه بسهولة وحشوه بالتبن) أولا يختفى ويقول قوله صريحًا بلا مواربة أو ينبغى فتح لسانه بقوة المبراة. ولو كان المحكوم يخاف، لو توجع، أفلا ينبغى العثور على واحد من لونه؟ ليس قحطًا. واحد كان قد تحمل الجلد كالمحكوم، الغل فى الساق والسلسلة فى العنق، هناك، إلى جانبه ممدد بطوله ويئن.. وإذا لزم المحكوم الصمت أيضًا، لو أنه كان طوال الوقت يفكر فى حدس كل الأشياء التى تخطر

وراء بشـرة هذا الإنســـان، لو أنه أراد أن يضـع نفــســـه مــحل تينك العينين...؟ وفوق ذلك، لو أن المحكوم بدأ الكلام وثرثر، كيف يمكن لكاتب التقارير أن يتذكر ذلك كله أو يكتبه فيعرضه علينا؟ أية حركة وأية جملة سيـتذكر وأيًا سـينسى؟ بجمـع هـذه الجمل غيـر المترابطة والمفككة وتلك الحركات التى لا قيمـة لها إلا فى لحظة وقوعها، كيـف يمكن الوصول إلى عمق لحم وجلد وشريان وعصب إنسان ما؟ أو بناء إنسان ما من جديد؟ عـسى ألا ينبـغى أن يكون المحكوم والكاتب السـرى حـرّين؟ حـران بين جدران عاليـة ويتلهيـان بحـديقة وحـوض وصـفـصـاف وبضـع مئـات من الكتب؟ وأنا؟ أنا...

وأحس الأمير احـتجاب الثقل الكبير لرأسـه على يديه. كانت يداه ترتجفان.

كانت الجدران عـالية. بحثت كثيرًا حتى عثرت على هذا البيت. إن غرفتين لكافيتان لنوم وحركة شخصين. قالت فخرى:

- أيها الأمير، لقد سعلت السيدة اليوم. إلى حد أننى خفت.

قلت: قاءت دمًا، ها؟

قالت: لا، أيها الأمير. لا سمح الله. فقط زاوية فمها صارت حمراء قليلاً. نظفتها السيدة سريعًا بمنديلها. قلت: «أنا أخاف، يا سيدتي. أتريدين أن أستدعي...» فقالت: «كلا، لا خوف عليّ».

فقلت: وبعدئذٍ، بعدئذٍ ماذا فعلت، يا فخرى؟

قالت: قالت السيدة: «لا تقولي للأمير كلمة». فقلت: «لا، يا سيدتي».

كانت فخرى تفغ رائحة طين وتبن وماء صابون، يداها ومريلتها وشعرها. قالت: «**نهضت السيدة وذهبت إلى الحوض. كان لونها هاربًا. قالت: يا فخرى، ضعى الكرسى جنب الحوض. فوضعته. قالت: يا فخرى، إن المرء لينقبض قلبه فى هذا البيت، بكل هذه الغرف (كان مبنى للفصول الأربعة، مبنى الأجداد). قلت: لماذا، يا سيدتى؟ قالت: لا أدرى، ولكننى لا أحب قط أن أموت هنا. ليت الأمير أخذ بيتًا آخر. لقد صارت هذه العمارة قديمة. أنت أيضًا لم تعودى تستطيعين أن تعنى بكل هذه الغرف. ليت الأمير يبيعه**».

كان جسد فخرى ساخنًا، ساخنًا وعاريًا ومملوءًا بالدم. لا يستطيع السل أن يحطّم هذا السياج الحى. قلت:

- ثم ماذا؟

قالت: جلست جنب الحوض، وقالت: «**يا فخرى، اخلعى جواربى**». فقلت: «**على عينى، يا سيدتى**». وخلعت جواربها.

قلت: **كيف كان ساقاها، يا فخرى؟ أأعجباك؟**

قالت: كانا أبيضين جدًا، أيها الأمير.

تضع فخر النساء رجليهما على حافة الحوض - كانت حافة الحوض باردة - ثم في مغسل الرجل[٣٨]، مع كل ذلك السمك. تأتى الأسماك وتنقر بأفواهها أصابع فخر النساء. كانت فخر النساء محمومة، يضيق نفسها. قلت:

- أكانت تضع نظارتها، يا فخرى؟

(٣٨) قحاشية تدور مع حافة الحوض، أوطأ من سطح الساحة المحيطة به، يجرى إليها الماء الذى يفيض منه، تستعمل لغسل الأرجل تجنبًا لمدها إلى داخل الحوض.

قالت: نعم، أيها الأمير. حتى أنها قالت: «عزيزتى فخرى، اذهبى بلا زحمة فهاتى لى الكتاب الذى على الطاولة».

قلت: جلستْ إلى جانب الحوض وقرأت كتاباً؟

قالت: عندما جلبت الكتاب، رأيت أن السيدة وضعت كلتا يديها على ركبتيها وراحت تنظر إليَّ محدقة. قلت: «تفضلى، يا سيدتى». لم تقل شيئًا. اكتفت بالنظر. قلت: «سيدتى، جلبت كتابك». قفزت السيدة دفعة واحدة، ارتعش كتفاها، التفتت ورفعت نظارتها، قالت: «أنت، يا فخرى؟» فقلت: «سيدتى، كتابك». قالت: «آه، أعطنى إياه».

قلت: وماذا جرى بعدئذٍ؟

قالت: لا شىء بعد، وضعتْ الكتاب على تنورتها وراحت تنظر مرة أخرى.

قلت: إلى أين؟

قالت: حسنًا، لا أدرى. على الجانب الآخر كانت الفتيات الحجريات اللائى ينصب الماء من أفواههن، والنافورة، والشارع أيضًا. وكانت ثمة أشجار أيضًا. وكان غراب جالس وسط الشارع يأكل عظامًا.

قلت: لم تنظر إلى السماء؟

قالت: لا أدرى، أيها الأمير. فأنا لمْ أذهب إلى أمام السيدة. قلت لو أننى ذهبت فإنها ستنزعج حتمًا.

عندئذٍ ضربت، ضربت فخرى على وجهها. قلت:

- أفلم أقل لك..؟

بكت. قلت:

- ثم ماذا؟

كنت قد مسحت دموعها. فدهق البكاء لم يكن يسمح. قالت:

- ذهبت أنا إلى المطبخ كي آمر بالطعام. ثم عندما جئت، قلت: «سيدتي، أتريدين أن أشعل المصباح؟». فقد كان الغروب يحل.

قالت: «لا يا فخرى، ألقي فقط معطف الخز ذاك على كتفيّ».

قلت: كانت لا تزال تنتظر؟

قالت: نعم، أيها الأمير. لم يكن قدماها في مغسل رجل الحوض.

قلت: أكان الغراب موجودًا؟

قالت: لم يكن.

قلت: أكانت تلك القطعة من السماء ظاهرة؟

قالت: لم أر، ربما لم تكن.

قلت: هناك في الآخر، في نهاية البستان، أكان الباب بائنًا؟

قالت: أظنه كان.

قلت: ما قالت فخر النساء؟

قالت: قالت السيدة فقط: «أنت طيبة، يا فخرى».

الغراب والعظام، البنات الحجريات، النافورة وطيات الموج.. لابد أن ينقر الغراب العظام أولاً ثم يرفعها أو لا يرفعها ويطير عن الأشجار، أو من بين الأشجار ويذهب. أكانت فخر النساء تنتظر؟ لو كانت تري، فقد كانت كل حواسها متجهة إلى الغراب وتلك العظام وذلك الجناح وطيرانه من بين.. من؟

عندما تكون الدنيا مضيئة يمكن رؤية الباب. كانت العمة الصغرى قد ماتت منذ وقت طويل. تلك العيون.. حتى لو أن عابرًا نظر من شق الباب، لا يمكن الرؤية على هذا البعد. ولكن فخر النساء كانت تستطيع أن ترى، حتى لو أن أحدًا لم يكن ينظر. كانت ترى تينك العينين السوداوين القلقتين اللتين كانت صاحبتهما، العمة الصغرى، ملفوفة بملاءة لف الفراش والشادر والسروال الطويل، واقفة وراء الباب تنتظر بحس مخلوط من فزع وغرور، محبة ونفور و... تنتظر ما لا أدرى حتى ربما تلوح بنت صغيرة نحيلة مفردة على الشرفة، أو تحت الظل البارد للأشجار أو جنب الحوض .

كان الجو مشمسًا، وتلك القطعة من السماء ظاهرة من بين الأغصان. لو كان ثمة بقعة غيم واحدة فى السماء فلربما كانت سقطت بضع قطرات مطر إلى الحوض. قالت فخرى أو لم تقل. كان كل ما تقوله هو: **«لا أدرى، لا أدرى»**. الحمقاء! فخر النساء وبكل ذلك الجسد النحيل والنسيم الرقيق الذى يهب...؟ لم يكونوا يعطون السجناء ماء، غير بضع جرعات فى اليوم. كى لا يضطروا إلى نقلهم باستمرار أو فى الأقل كى لا يمتلئ السجن رائحة كريهة. قطعة خبز واحدة. كانوا قد ألقوا به فى إحدى الغرف البرانية حتى يعترف بما عنده أيضًا وأين. ثم يرى دفعة واحدة الجلاد، بهيكله الطويل ذاك، ممسكًا بالخنجر واقفًا على عتبة الباب. كان الدم يقطر من الخنجر. كان الجلاد واقفًا على ذلك النحو وينظر. وربما كان يمر يده أحيانًا على حافة الخنجر الحادة وينظر إلى الميرزا معتمد. كان الميرزا معتمد ينظر إلى زهر السجادة ويتابع بإصبعه

كل انحناءات خطوط النقش الإسلامى، يقول: **«حسنًا، ماذا تنتظر؟ هيا، أكمل شغلك»**. فيقول الجلاد: **«تفضل صاحب السمو فأمر أن اذهب وخذ إنعام قطع رأس السيد حبيب من الميرزا معتمد»**. كانت فخر النساء تقول. أقرأت ذلك أم رواه لها أبوها؟ لا فرق .

أكانت فخر النساء تفكر بذلك؟ أو بـ... بالغراب وذلك الشارع وظلال الأشجار؟ أو برؤوس الأغصان التى تلتقى مع بعضها فى آخر الشارع وتشكل فوقه طاقا، طاقا أخضر. أو بالصوت المستمر والرتيب للنافورات؟ العصافير التى اقتلعوا عيونها بمبراة الأقلام فأين يمكنها الطيران؟ كانت تضع السلم وتصعد إلى فوق وتسحب من ثنايا الأطواق بضعة عصافير. لا بد أنها كانت قد نبت لها ريش وإلا لما كانت تستطيع أن تطير. حتى أين؟

أكان يقتلع عيونها فوق ذلك السلم، أم تحت؟ اقتلعها. هذه الأمور ليست وراثية، أو هى كذلك. دم الأجداد؟ أنا لم أستطع إدامة الصيد، حتى من رؤية بطة برية تتمرغ... أو تناولها كلب صيد بفمه.. يضطرب فؤادى. طفل ابن ثلاث عشرة سنة، وحاكم ولاية أيضًا، كيف يفعل مثل هذه الأشياء؟ أين كان كبير المربين...؟ كان يقلع عيون العصافير، واحدة واحدة، ويتركها كى تطير. حتى أين؟ تصطدم بالأشجار أم بالجدار؟ أكان يضحك؟ لا أدرى، ربما كان ينظر فقط كى يرى هذه المرة إن كان هذا... أو يراهن على أن هذا سيصل حتمًا إلى شجرة الصنوبر تلك وعندما يرى أنه لم يصل يطلق آخر. لماذا؟ ما الجدير بالقراءة فى هذا؟

قالت فخرى: **«كانت جالسة وتنظر»**. كان الغراب قد ذهب. كان وقت الغروب. لو أدارت فخر النساء رأسها لاستطاعت أن ترى حمرة الغروب. ولكنها لم تلتفت، أو أنها التفتت ورأت ثم حدت النظر. أو لم تفعل ثم.. ثم بعد أن أظلمت الدنيا، ماذا؟ لا بد أن ضياء أحد مصابيح المبنى كان يشع إلى الخارج، ربما من النافذة الغربية للمبنى أو.. وأصوات النافورات والجداجد، كما الآن إذ خيط أصواتها غير المتناهى... عندما ينظر المرء إلى الظلمة ، إلى هناك، يعرف ما يمكن أن يكون ، ولكنه لا يعرف ما يجرى. ولذلك ففى الظلمة كثير من الأمور. فى الليالى عندما كنت أجىء فى وقت متأخر كنت أعرف أنها تجلس قرب النافذة، فى الظلمة... تنظر إلى الظلام و.. وربما كانت فخر النساء أصلاً طوال ذلك الوقت قد أغمضت عينيها، أو أنها كانت نائمة و... وفى النوم؟

فى بيت الأجداد ذاك كان يمكنها أن تسلى نفسها فى كل لحظة بشىء ما. لدى التفكير فى كل هذه العترة والعصمة المنحشرة فى حريم الجد ورجال الدين.. اشتريت هذا البيت. عندما رأيت الجدران أحببتها. قلت، حسنٌ أن أقطع شجرة الصفصاف، أبلّط الحديقة وحتى أملأ الحوض. ولكن لا يمكن، لو أنها فهمت ما كان ليصير. قلت ، حسنًا، ما فى ذلك من شىء. وكان حيدر على أيضًا موجوداً. زوّجته. قلت أن يفرشا، فى تلك الزاوية، فى تلك الغرفة، قرب الباب، جِلالهما وخرقهما وليس عليهما إلا أن يعتنيا بالحديقة وبمشتريات البيت. ولكن عندما رأيت أنهما لا يزالان يزيدان البزر - لم تمض سنتان حتى صار لهما طفلان - ألقيت بهما خارجًا. فعلتُ حسنًا. ذهب إلى بيت ابن عمى. عندما انتهت فخر النساء ظهر مرة أخرى أن: **«أنا وفخرى مع بعض»**. الأحمق!

فى البداية، لم أكن أغلق الباب. كنت أوصيت أن يجلبوا المؤونة إلى البيت. كان الفلاحون يجلبونها أو يشترونها من السوق، كى لا يكون لهما عمل فى الخارج. فقط عندما كانت فخر النساء تلح، كنا نذهب إلى القرية. كان الدكتور قد قال إنها يجب أن تذهب... كان الدكتور قد قال إنها يجب ألا تشرب. أوصيت الفلاحين كى يعدوا كل سنة شرابًا ويجلبوه. فى السرداب كان يوجد دائمًا بضع جرار. تشرب كل عصر، وتشرب على العشاء أيضًا. وماذا عن الأصباح؟ كانت فخرى تقول: **«أحيانًا، كأس واحدة فقط»** . كانت فخرى تقول : **«فى الأصباح كل ما تفعله السيدة هو أن تتمشى حول الحديقة»**. عندما كنت أستيقظ مبكرًا صباحًا كنت أراها بنفسى، من فوق الشرفة. تمسك نظارتها بيدها وتمشى. من وراء ذلك الثوب التُل الأبيض الطويل كان جسدها بائنًا. كان قفاها أبيض أبيض. الشعر منسبل على الثديين. تمشى وتقضم ساقًا أخضر. أحيانًا عندما كانت تسعل، تذهب فتجلس على كرسيها الذى كان تحت شجرة الصفصاف .

كانت جالسة على الكرسى. كانت نظارتها على عينيها. كانت تلعب بشعرها، قالت:

- منتظر، أيها الأمير، ها؟

قلت: **يا فخر النساء، فى هذا الوقت من الصباح الباكر تصابين بالبرد، وبهذا الثوب التُل أيضًا.**

قالت: **متأخرًا أو سريعًا، ما الفرق، كم خسرت ليلة أمس، أيها الأمير؟**

قلت: **لا يستحق الذكر.**

قالت: **لا تُصب بالبرد.**

قلت: **لا تخافى.**

قالت: **ناد لتأتى فخرى فتجلب شيئًا تضعه على كتفى.**

وسعلت. قلت لفخرى . وقلت: **« لو أن السيدة تكلمت فانتبهى ألا تنسى شيئًا وإلا..»** ولمستُ بيدى خديها وأخذتها إلى حضنى. قلت:

ـ اضحكى، اضحكى بقهقهة.

قالت: **ولكن السيدة..**

قلت: **ليكن، أريدها أن تسمع صوتك.**

على استدارة السلم، هناك بالضبط... لكنها قالت:

ـ لا يصير هنا، أيها الأمير.

قلت: **لماذا لا يصير؟**

قالت: **الجو هنا بارد، تتلّج صدرى.**

قلت: **مع كل هذا اللحم، مم تخافين ؟ اضحكى، يا بنت ، عاليًا! لو قالت فخر النساء : « لماذا كنت تضحكين ؟ » فقولى إن الأمير قال . لا تخافى. قولى. ولكن لا تنسى، يجب أن تخبرينى عندما تروين للسيدة كيف تصير عيناها ويداها وحتى شفتاها.**

كانت فخر النساء قد قالت: **«أنت طيبة، يا عزيزتى فخرى»،** وابتسمت ووضعت يديها فى جيبى المعطف. كانت عيناها وراء زجاجتى

النظارة، لا تطرفان. تركع فخرى أمام ركبتيها وتقول: **«يا سيدتي، والله أنا...»** تقول: **«أدرى، أنت طيبة»**. وتزيح شعر فخرى عن جبينها. وسوّت أيضًا ياقة ثوب فخرى. ثم تقول: **«يا فخرى، اذهبى إلى الحمام. لا يصح هكذا. لك أسبوع بكامله وأنت...»** فتقول: **«لكن يا سيدتي، لست طاهرة، عندما أطهر، فعلى عينى»**. تقول فخر النساء: **«إذن فكيف ينام الأمير معك، فى حين أنك..؟»** تبكى فخرى وتضع رأسها فى حجر فخر النساء. وتُمر فخر النساء يدًا على شعر فخرى. كانت قالت: **« أنت طيبة، يا فخرى»**. وكانت سعلت.

عندما هبطت السلم رأيت فخرى ممسكة بكتفيها. كانت فخر النساء لا تزال تسعل، قالت: **«أيها الأمير، إن صار عندك وقت أخبر الدكتور أبا نواس كى يجىء»**. فقلت: **«الهاتف موجود، قولى لفخرى أن تتلفن»**. فقالت: **«اسمع، يا خسرو خان، أنا لا اعتراض عندى، ولكن ألم يكن أفضل لو أنك لم تبع شمعدانات البلور؟ كنت لا أقل تتركها لى»**. فقلت: **«ولكن ليس عندنا مكان لكل هذه الأشياء الصغيرة»**. فقالت: **«أننتظرك ليلاً؟»** فقلت: **«لا أدرى، لنر ما يصير»**. كانت فخرى مطأطأة الرأس.

عندما عدت مساء، كان صوت فخر النساء يأتى من الغرفة العليا. قالت فخرى:

ـ جاء الدكتور وقال: **«سيدتي، فى حالتك هذه لا تشربى شرابًا. أو فى الأقل قلليه»**. فقالت فخر النساء: **«آجلاً أو عاجلاً..»**

فقلت: تحدثى عن الصباح، يا فخرى.

فتحدثت.

قلت: **عندما صعدت إلى فوق ماذا جرى؟**

قـالت: كانت السـيدة نائمـة على السـرير، قالت : «يا فخرى لماذا لا تعرفين أن تضـحكى؟» فأردت أن أقول: «ولكن يا سيدتى، كان الأمير يدغدغنى بريشـة». لكننى لم أقل. قـالت السـيدة: «أدرى، ولكننى لا أدرى لماذا ينام الأمير معك، وعندما لا تكونين طاهرة أيضًا».

قلت: وماذا قالت أيضًا؟

قالت إنـها لا تدرى. قالت إنـها نسيت. قـالت إنها لا تريـد أن تقول... فضربتها على وجهها. قالت.. أظنها قالت.. بكت وقالت: «ولكننى لا أتذكر كل شىء».

على السـرير، مـع كل ذلك التـجصـيص والثـريا وسـط السـقف وتلك المرايا داخل أعـمـال الجص والكتب... من فـوق السـرير يمكن للمـرء أن يرى نفسـه فى كل تلك المرايا. كانت منيرة خاتون ترى.

يأتى الدكتور. كانت فخرى أيضًا موجودة، يقول الدكتور: «سـيدتى، ينبغى تصـوير صـدرك». فـتـقول فـخـر النسـاء: «أعطنى شرابًا أو شيئًا يقطع السعال فقط، أو أتمكن معه من الوقوف، فقط». قلت:

- وماذا قالا أيضًا، يا فخرى؟

قـالـت: لـم يتكلمـا كثيرًا. ذهـب الدكـتور سريعًـا. عنـد الباب قـال : « يا فـخرى، حـال سيدتك سيئة جدًا. انقلى سلامى للأمير، قولى ينبـغى أن يتفضل بالتفكير فى شأن السيدة وإلا...»

قلت: اضـحكى، يا فـخرى. اضـحكى مقـهقـهة. لا أريد سمـاع صـوت سعالها. اضحكى!

كانت فخر النساء تسعل مثل الجد والجدة. كانت فخرى تقول: **«ولكن أيها الأمير، لا يمكن الضحك بلا سبب»**. كنت أدغدغ تحت إبطيها بالريش، أو باطن قدميها. كانت فخرى تتلوى على نفسها، يتلاعب ثدياها. من كثرة ما تضحك تغرورق عيناها بالدمع. ولكن مع ذلك كان صوت سعال فخر النساء يصل. أضع رأسى فى ثنايا شعر فخرى. أسدّ أذنىّ.

هناك فوق، على ذلك السرير، عندما تسمع صوت ضحك فخرى، بشغل الجص والمرايا الصغيرة ذاك، والستائر والثريا...؟ كانت الكتب فى الأرفف، جنب السرير، أو على المستوقد، فوق بعضها البعض. لو أنها التفتت لأمكنها أن ترى مؤشر الكتب[39] الذى كان على الطاولة. أهذا كل ما كان هناك؟ لم تقل فى أى وقت: **«أنت طيب، أيها الأمير»**.

مهما فعلت لم تسمح بأن أرى جسدها العارى. كانت تقول: **«لا أحب ذلك، أيها الأمير»**. كنت فقط أتمدد إلى جانبها، فى الظلمة أتلمس كل بدنها. كانت تقول: **«عجِّل أرحنى، أريد أن أنام»**. ولكن مع ذلك لا يواتيها النوم. كانت تقول: **«انهض الآن فاقرأ لى بضع صفحات من ذلك الكتاب فلربما..»** كنت أقول: **«هل بدأت مجدداً، يا فخر النساء؟ أنا نعسان»**. كانت تقول: **«أضئ ذلك المصباح، ضعه فى متناول يدك»**. على السرير، كنت أجلس جنبها وأقرأ. كانت تضع يديها تحت رأسها وتنظر إلى السقف وأنا أقرأ. عندما كانت تنظر، كانت تقول: **«أين حواسك ،**

(٣٩) ورقة تطوى وتجعل على شكل سهم، توضع فى المكان الذى يصله المرء فى القراءة ليفتح الكتاب عنده لاحقًا، وهى تستعمل أيضًا لمتابعة الكلمات أثناء القراءة.

أيها الأمير؟» كان أحد ثدييها ظاهراً. ينيره ضياء المصباح. كنت أنظر إلى قوس الثدى الأدنى الذى يغطيه الظل. قالت: **«اقرأ، أيها الأمير»**. كنت سكرانًا، حتمًا، لأننى مددت يدى ففتحت أزرار قميص نومها. كانت ممددة على ذلك النحو، يداها تحت رأسها وتنظر إلى السقف. قلت: **«أحبك، يا فخر النساء»**. ضحكت، ضحكت بصوت مرتفع جداً بحيث امتلأت عيناها دمعًا. لم تكن تضع النظارة. لا تستطيع فخرى أن تضحك على ذلك النحو عاليًا وبصوت حسن. لم تتمكن قط. كما لو كانت تتغرغر بالماء، حتى كنت أضربها ومع ذلك لم تكن تستطيع. كنت أقول:

ـ حسنًا، اضحكى عاليًا على هذا النحو.

وكنت أدغدغ تحت إبطها حتى تبكى. أتمدد إلى جانبها، أضع رأسى فى طيات شعرها أو على ثدييها. كانت دافئة. كنت أنام، هناك بالضبط، فى فراش فخرى. ولكن لا يواتينى النوم. كان صوت سعلات فخر النساء يابسًا ومتقطعًا.

عندما رفعوا المحفة وأطفأوا القناديل وملأت رائحة العود التكية كلها وذهب القراء وأنهوا مجلس الفاتحة، ذهبت فخر النساء ـ بدون أن ترفع زهرة قرنفلها من الزهرية وتضعها فى زاوية فمها ـ فجلست داخل إطار تصويرها . كان الغبار مستقراً على شعرها. ورأى الأمير. ورأى أن فخر النساء وراء ذلك الغبار على الشعر ووراء ذلك الثوب التُل ونظارتها وبشرتها البيضاء، بعيداً عن متناوله، موجودة وغير موجودة. وكانت الملاءة البيضاء والدم الذى يسيل من زاوية فم فخر النساء. ومرة أخرى سمع صرير العجلات ووقع قدمى حسنى. كان الكرسى ذو العجلات يرقى السلالم ومراد يقول مكرراً:

- **تحركى، يا امرأة.**

قالت حسنى: **لكننى تعبت، أفأنت مضطر إلى صعود كل هذه السلالم؟**

ثم لم يعد ثمة إلا صوت حركة العجلات على بلاط المدخل. عندما فتح الباب لم يسمع إلا صوت العجلات ووقع قدمى المرأة . كان الباب قد أغلق.

- سلام.

وقالت حسنى أيضاً: **سلام.**

قال الأمير: **يا مراد، ها قد جئت مرة أخرى. أفلم أقل مئة مرة..؟**

أحس الأمير فقط بالحركة اللينة للعجلات فوق السجادة. كانت الفئران تقضم شيئًا. صاح الأمير:

- **يا مراد، أمات أحد ما مرة أخرى؟ ها؟**

وسعل. عندما أُشعل الثقاب لم يرَ الأمير غير تينك العينين بين التجاعيد والغضون وبصيص أسلة السيجارة الخافت. كان يعرف أن الكرسى ذا العجلات صار الآن عند المستوقد وأن حسنى تبحث عن شىء ما فى رماد المستوقد. كما سمع صوت قضم الجرذان. هزت السعلات الجافة المطوطة كتفى الأمير.

قال مراد: **يا عزيزى الأمير، أعطاك الأمير احتجاب عمره.**

فسأل الأمير: **الأمير احتجاب؟**

قال مراد: **ألا تعرفه؟ ابن العقيد احتجاب، حفيد الأمير الكبير، حفيد حفيد الجد الأكبر الأفخم الأمجد. أعنى خسرو، ذاك الذى كان فى أيام الاستقبال يقف عند يد الأمير الكبير، ويمسِّد الأمير الكبير على شعره بيده ويقول: «يا ولدى، لا تصر مثل أبيك قوادًا».**

فقال الأمير: آها.

- أصيب بالسل، صار جسده كالمغزل. لم يعد يُعرف. رحمه الله.

هز السعال كتفى الأمير. وسمع الأمير زجاج الشبابيك الملون، الثريات، الكاسات والصحون على الرفوف، تصوير الجد والجدة، الأب والأم، العمات وحتى تصوير فخر النساء، يهتز. ورأى الأمير أن فخر النساء ممددة، على طولها، تحت تلك الملاءة البيضاء وأن الدم ينز إلى الملاءة ويزداد انتشارًا سعل ورطّب الدم فمه وحاشية شفته.

كانت الفئران قد ذهبت . كان رأس الأمير إلى أدنى ، على عمود ذراعيه . كانت يداه ترتجفان . برد جبينه . كان الصبح الكاذب قد أضاء الغرفة كلها وكانت الديكة تصيح على البعد . سمع الأمير عواء كلاب وصوت حركة عجلات فوق السجادة ثم صوت انفتاح وانغلاق باب . كانت العجلات تصوِّت صارَّة على بلاط المدخل وفوق السلالم . قال مراد:

- تحركى، يا امرأة .

وقالت حسنى: لقد تعبت، أفأنت مجبر على هبوط كل هذه السلالم؟

كانت السـلالم رطبـة ولا نهاية لهـا. والأمـير الذى كـان يعـرف أنه لم يقدر، أن جدّه لا يمكن حشره داخل وعاء ما، أن فخر النسـاء... يهبط ويهـبط كل هذه السـلالم، يصل من كل هذه السـلالم إلى تلك الدهاليـز الرطبـة وذلك السـرداب الرطب الزمـهـريـر وإلى الملاءة والدم وإلى تينك العينين المحدقتين اللتين كانتا موجودتين وغير موجودتين .

المؤلف فى سطور

هُوْشَنْگْ گُلشيرى

ولد فى أصفهان - التى يسميها الإيرانيون بـ "نصف الدنيا" ، والتى كانت عاصمة بلادهم على أيام الصفويين - سنة ١٩٣٧ .

احترف التدريس ، وأصدر فى سنة ١٩٦٨ أول مجموعاته القصصية باسم "مثل هميشه"[(١)] ، التى دلت على أنه من أنصار أسلوب ابن مدنيته ، الكاتب بهرام صادقى. وكان قبل ذلك يكتب الشعر ، لكن نجاحه فى كتابة القصة يصير سبباً فى أن يضع كتابة الشعر جانباً إلى الأبد.

أصدر بعد ذلك رواية "شازده احتجاب"[(٢)] ، التى وسع فيها تجديدات كتابه الأول ، ومنحه رسمية كونه تجربة لأسلوب خاص فى دائرة اللغة الفارسية ، الأسلوب الذى يعرف فى الغرب بـ "الجريان السائل للذهن". وقد صنع من تلك الرواية فى الوقت نفسه فيلم سينمائى زاد شهرة الكتاب وكاتبه.

إن الأمير احتجاب رواية ذهنية وكابوسية للمتبقى الأخير من طبقة أشراف ينتظر - وقد تعب من عبء الجور والظلم والجريمة لسنوات طوال - زواله القطعى.

أصدر بعد ذلك روايتى "كريستين وكيد" و"بَرَّه گُمْشُدَه راعى"[(٣)] ، اللتين لم تحظيا بنجاح روايته الأولى.

وكانت روايتا "آيِنَه هاى دَرْدار"[(٤)] ، و"جن نامه"[(٥)] هما رواياته التاليتان.

تحكى أولاهما ، على مستويين ، طفولة الراوى وشبابه ، بما فى ذلك حبه لجارته التى يتزوجها شخص يتضح أنه لا يحبها ، ثم حاضره

وهـو فى جـولة أدبيـة خارج إيران ، تبـدو اسـتعداداته للعودة إليها غير مقنعة.

وبالنظر لموضوع الثانية ، لم تستطع الفوز بمجوز الطبع مما حملت كاتبها على نشرها خارج إيران.

ومن أعماله الأخرى مجموعتا "نَمَازْ خانَه كُوچَكَ مَنْ"(٦) و"دَسْتَ تارِيك ، دست رَوْشَنْ"(٧) ، وسيناريو "دوازده رُخ"(٨).

كان فعالاً جداً دائماً فى إدارة المنشورات الأدبية ودروس الكتابة القصصية ، وقد ترك أثر أسلوبه وتعليماته فى جيل من الكتّاب.

كان فى العقد الأخير أو العقدين الأخيرين من حياته من الوجوه الفعالة فى النضال ضد الرقابة ، وجاهد من أجل بعث "مركز كتّاب إيران" ، مما رشحه للاغتيال فى حملة القتل المسلسل للأدباء والنشطاء فى مجال حقوق الإنسان أواخر القرن العشرين.

وقد ذكر أكثر من مرة كمرشح لجائزة نوبل فى الأدب.

بوفاته غير المتوقعة فى صيف سنة ٢٠٠٠ ، فقد الأدب الإيرانى المعاصر واحداً من وجوهه الأصلية.

(١) كما دائماً.
(٢) الأمير احتجاب.
(٣) الحَمَل الضال للراعى.
(٤) المرايا ذوات الأبواب.
(٥) كتاب ، أو: مكتوب ، الجن.
(٦) مصلاّى الصغير.
(٧) يد مظلمة ، يد منيرة.
(٨) إثنا عشر رخاً.

المترجم فى سطور

سليم عبد الأمير حمدان

ولد سنة ١٩٤٠ فى مدينة الكاظمية ، شمالى العاصمة العراقية بغداد ، وفيها أتم دراستيه الابتدائية والإعدادية.

أثناء دراسته الجامعية ترجم مادة نقاش نظرية نشرتها مجلة "الثقافة الجديدة" - وهى أرقى مجلة ثقافية فكرية عراقية آنذاك - مما شجعه على ترجمة كتاب "فوضوية أم اشتراكية" ، الذى يعده كثيرون عمل ستالين الفكرى الوحيد ذى القيمة. لم تنشر الترجمة نظراً للموقف العام تجاه ستالين ، ولكنها أهلت المترجم للاشتغال محرراً للأخبار الخارجية فى جريدة "اتحاد الشعب" التى كانت تصدر فى بغداد آنذاك.

درس فى قسم اللغة العربية فى كلية آداب جامعة بغداد ، وتخرج منها سنة ١٩٦١ .

اختار وترجم عدداً من قصص مارك توين ، اختار لها اسم "مذكرات آدم وحواء وقصص أخرى" ، نشرتها له دار الفارابى فى لبنان نحو منتصف السبعينات ، وفى الفترة ذاتها عمل محرراً للشؤون الخارجية فى يومية "طريق الشعب" ، التى ورثت "اتحاد الشعب".

ترجم روايتى "قصة جاويد" و"آلام سياوش" للكاتب الإيرانى إسماعيل فصيح ، ونشرهما له المجلس الأعلى للثقافة والنشر فى مصر تحت العددين ١٨٠ و ٣٩٥ ، من سلسلة المشروع القومى للترجمة ، ونشرت له "دار المدى" فى دمشق ترجمته لـ "نداء البداءة" لجاك لندن

سنة ٢٠٠٠ ، و"مكان سلوچ الخالى" لمحمود دولت آبادى سنة ٢٠٠٢ ، ثم "كأس من ذهب" لجون شتاينبك سنة ٢٠٠٣ .

له عدد آخر من الترجمات التى ستصدر عن المجلس ذاته ، وعن دار المدى ، وعن وزارة الثقافة السورية التى ستنشر له أيضاً دراسة مكتوبة عن الرواية الفارسية.

إضافة إلى كتابته الدراسات والمقالات الفكرية والسياسية ، فقد كتب مقدمات لعدد من الكتب أيضاً.

حرر - مدة - مجلتى "المدى" و"النهج" الصادرتين فى دمشق.

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١	اللغة العليا	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣	التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠	خطاب الحكاية	چيرار چينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١	مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥	الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	ت: بإشراف: أحمد عتمان
١٧	مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩	الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١	خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧	التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨	رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنة
٢٩	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢	الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤	الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥	الأسطورة والحداثة	پول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت
٣٦	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم

٣٨	نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩	الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠	قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢	عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣	اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	ت : المهدى أخريف
٤٤	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥	التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢	لذّة النَّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧	مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود
٧٢	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣	نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٧٥	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش

٧٦	جاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢	مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣	مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤	موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦	طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧	نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩	الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠	وسم السيف	ميجل دى ثربانتس	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	ت : نادية جمال الدين
٩٣	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤	الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥	مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد عبد اللطيف
٩٦	ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
٩٨	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٩٩	تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١	النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢	السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣	قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤	أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥	مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦	الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : أشرف على دعدور
١٠٧	صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبـة	ت : محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩	حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠	النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١	المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣	راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان

١١٤	مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥	غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦	امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧	المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨	النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩	النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت بإشراف: رءوف عباس
١٢٠	الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١	الدليل الصغيرعن الكاتبات العربيات	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢	نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيئل ألكسندر وفنادولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤	الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥	التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	ت : سمحة الخولى
١٢٦	فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧	إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨	الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩	الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١	مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢	ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣	الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤	تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥	المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦	فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧	مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	چوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩	پارسيڤال	ريشارد فاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠	حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢	الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣	قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤	صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان
١٤٥	موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦	الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبدالروف البمبى
١٤٧	خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبدالغفار مكاوى
١٤٨	القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم منوفى
١٤٩	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت : منيرة كروان
١٥١	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢	عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد الخطابى

١٥٣	غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبدالله محمود
١٥٤	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥	الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦	المدارس الجمالية الكبرى	جى آنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧	خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبدالعزيز بقوش
١٥٨	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩	الإيديولوچية	ديفيد هوكس	ت: إبراهيم فتحى
١٦٠	آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت: حسين بيومى
١٦١	من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت: زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢	تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	ت: صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣	موسوعة علم الاجتماع	جوردن مارشال	ت بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤	شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت: نبيل سعد
١٦٥	حكايات الثعلب	أ. ن أفانا سيفا	ت: سهير المصادفة
١٦٦	العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت: محمد محمود أبو غدير
١٦٧	فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت: شكرى محمد عياد
١٦٨	دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت: شكرى محمد عياد
١٦٩	إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت: شكرى محمد عياد
١٧٠	الطريق	ميغيل دليبيس	ت: بسام ياسين رشيد
١٧١	وضع حد	فرانك بيجو	ت: هدى حسين
١٧٢	حجر الشمس	مختارات	ت: محمد محمد الخطابى
١٧٣	معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	ت:إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤	صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت: أحمد محمود
١٧٥	التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت: وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت: جلال البنا
١٧٧	أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	ت: حصة إبراهيم المنيف
١٧٨	مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت: محمد حمدى إبراهيم
١٧٩	حكايات أيسوب	أيسوب	ت: إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠	قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت: سليم عبد الأمير حمدان
١٨١	النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت ب. ليتش	ت: محمد يحيى
١٨٢	العنف والنبوءة	و.ب. ييتس	ت: ياسين طه حافظ
١٨٣	چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت: فتحى العشرى
١٨٤	القاهرة... حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	ت: دسوقى سعيد
١٨٥	أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت: عبد الوهاب علوب
١٨٦	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	ت:إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧	الأرضة	بُزرج علوى	ت:محمد علاء الدين منصور
١٨٨	موت الأدب	ألفين كرنان	ت:بدر الديب
١٨٩	العمى والبصيرة	بول دى مان	ت:سعيد الغانمى
١٩٠	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت:محسن سيد فرجانى
١٩١	الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت: مصطفى حجازى السيد

١٩٢	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغي	ت:محمود سلامة علاوى
١٩٣	عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت:محمد عبد الواحد محمد
١٩٤	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى	مجموعة من النقاد	ت: ماهر شفيق فريد
١٩٥	شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت:محمد علاء الدين منصور
١٩٦	المهلة الأخيرة	فالتين راسبوتين	ت:أشرف الصباغ
١٩٧	الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت: جلال السعيد الحفناوى
١٩٨	الاتصال الجماهيرى	ادوين إمرى وآخرون	ت:إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩	تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت: جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠	ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت: فخرى لبيب
٢٠١	الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٢٠٢	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣	الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت: جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت: أحمد محمود هويدى
٢٠٥	الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	ت: أحمد مستجير
٢٠٦	الهيولية تصنع علمًا جديدًا	جيمس جلايك	ت: علي يوسف علي
٢٠٧	ليل أفريقى	رامون خوتاسندير	ت: محمد أبو العطا
٢٠٨	شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت: محمد أحمد صالح
٢٠٩	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت: أشرف الصباغ
٢١٠	مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت: يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١	فردينان دوسوسير	جوناثان كللر	ت: محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢	قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت: يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣	مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	ت: سيد أحمد علي الناصرى
٢١٤	قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت: محمد محمود محى الدين
٢١٥	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغي	ت: محمود سلامة علاوى
٢١٦	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت: أشرف الصباغ
٢١٧	مسرحيتان طليعيتان	ص. بيكيت	ت: نادية البنهاوى
٢١٨	لعبة الحجلة (رايولا)	خوليو كورتازان	ت: علي إبراهيم منوفى
٢١٩	بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت: طلعت الشايب
٢٢٠	الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت: علي يوسف علي
٢٢١	شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت: رفعت سلام
٢٢٢	فرانز كافكا	رونالد جراى	ت: نسيم مجلى
٢٢٣	العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت: السيد محمد نفادى
٢٢٤	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت: منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥	حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت: السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦	أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت: طاهر محمد علي البربرى
٢٢٧	المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماردیا ديف بوركى	ت: السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت:مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩	مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	ت: أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠	عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت: مصطفى إبراهيم فهمى

٢٣١	الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت: جمال عبدالرحمن
٢٣٢	ما بعد المعلومات	توم ستينر	ت: مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣	فكرة الاضمحلال	آرثر هومان	ت: طلعت الشايب
٢٣٤	الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت: فؤاد محمد عكود
٢٣٥	ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	ت: إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦	الولاية	ميشيل تود	ت: أحمد الطيب
٢٣٧	مصر أرض الوادى	روبين فيرين	ت: عنايات حسين طلعت
٢٣٨	العولمة والتحرير	الانكتاد	ت: ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩	العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر - رايوخ	ت: نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت: صلاح عبدالعزيز محجوب
٢٤١	فى انتظار البرابرة	ج . م كويتز	ت: ابتسام عبدالله سعيد
٢٤٢	سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	ت: صبرى محمد حسن عبدالنبى
٢٤٣	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	ت: على عبدالرءوف البمبى
٢٤٤	الغليان	لاورا إسكيبيل	ت: نادية جمال الدين محمد
٢٤٥	نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت: توفيق على منصور
٢٤٦	مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركث	ت: على إبراهيم منوفى
٢٤٧	الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر إرمبريست	ت: محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨	حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت: عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩	لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت: رفعت سلام
٢٥٠	علم اجتماع العلوم	دومنيك فينيك	ت: ماجدة محسن أباظة
٢٥١	موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردن مارشال	ت: بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢	رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت: على بدران
٢٥٣	تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت: حسن بيومى
٢٥٤	الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥	أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦	ديكارت	ديف روبنسون وكريس جرات	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧	تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت: محمود سيد أحمد
٢٥٨	الغجر	سير أنجوس فريزر	ت: عُبادة كُحيلة
٢٥٩	مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	اقلام مختلفة	ت: فاروجان كازانجيان
٢٦٠	موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردن مارشال	ت بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١	رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢	مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت: محمد أبو العطا
٢٦٣	الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	ت: على يوسف على
٢٦٤	إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	ت: لويس عوض
٢٦٥	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت: لويس عوض
٢٦٦	مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت: عادل عبدالمنعم سويلم
٢٦٧	فن الرواية	ميلان كونديرا	ت: بدر الدين عرودكى
٢٦٨	ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	ت: إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم چيفور بالجريف	ت: صبرى محمد حسن

٢٧٠	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم چيفور بالجريف	ت: صبرى محمد حسن
٢٧١	الحضارة الغربية	توماس سى. باترسون	ت: شوقى جلال
٢٧٢	الأديرة الأثرية فى مصر	س. س والترز	ت: إبراهيم سلامة
٢٧٣	الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان أر. لوك	ت: عنان الشهاوى
٢٧٤	السيدة باربارا	رومولو جلاجوس	ت: محمود على مكى
٢٧٥	ت. س إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت: ماهر شفيق فريد
٢٧٦	فنون السينما	فرانك جوتيران	ت: عبد القادر التلمسانى
٢٧٧	الچينات: الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت: أحمد فوزى
٢٧٨	البدايات	إسحق عظيموف	ت: ظريف عبدالله
٢٧٩	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	ت: طلعت الشايب
٢٨٠	من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت: سمير عبدالحميد
٢٨١	الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت: جلال الحفناوى
٢٨٢	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت: سمير حنا صادق
٢٨٣	السهل يحترق	خوان رولفو	ت: على البمبى
٢٨٤	هرقل مجنوناً	يوربيديس	ت: أحمد عتمان
٢٨٥	رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت: سمير عبد الحميد
٢٨٦	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغى	ت: محمود سلامة علاوى
٢٨٧	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	انتونى كنج	ت: محمد يحيى وأخرون
٢٨٨	الفن الروائى	ديفيد لودج	ت: ماهر البطوطى
٢٨٩	ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت: محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	ت: أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١	المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	ت: السيد عبد الظاهر
٢٩٢	المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	ت: السيد عبد الظاهر
٢٩٣	مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	ت: نخبة من المترجمين
٢٩٤	فن الشعر	بوالو	ت: رجاء ياقوت صالح
٢٩٥	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت: بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦	مكبث	وليم شكسبير	ت: محمد مصطفى بدوى
٢٩٧	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوانى	ت: ماجدة محمد أنور
٢٩٨	مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت: مصطفى حجازى السيد
٢٩٩	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت: هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	ت: جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	ت: جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢	فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣	بوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤	ماركس	ريوس	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥	الجلد	كروزيو مالابارته	ت: صلاح عبد الصبور
٣٠٦	الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	چان فرانسوا ليوتار	ت: نبيل سعد
٣٠٧	الشعور	ديفيد بابينو	ت: محمود محمد أحمد
٣٠٨	علم الوراثة	ستيف جونز	ت: ممدوح عبد المنعم أحمد

٣٠٩ الذهن والمخ	أنجوس چيلاتى	ت: جمال الجزيرى
٣١٠ يونج	ناجى هيد	ت: محيى الدين محمد حسن
٣١١ مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت: فاطمة إسماعيل
٣١٢ روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت:أسعد حليم
٣١٣ أمثال فلسطينية	خايير بيان	ت: عبدالله الجعيدى
٣١٤ الفن كعدم	جينس مينيك	ت: هويدا السباعى
٣١٥ جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت: كاميليا صبحى
٣١٦ محاكمة سقراط	أ.ف. ستون	ت: نسيم مجلى
٣١٧ بلا غد	شير لايموفا- زنيكين	ت: أشرف الصباغ
٣١٨ الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت: أشرف الصباغ
٣١٩ صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت: حسام نايل
٣٢٠ لمعة السراج فى حضرة التاج	مؤلف مجهول	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٢١ تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	ت: نخبة من المترجمين
٣٢٢ وجهات غربية حديثة فى تاريخ الفن	دبليو يوجين كليناور	ت: خالد مفلح حمزة
٣٢٣ فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت: هانم سليمان
٣٢٤ اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت: محمود سلامة علاوى
٣٢٥ عالم الآثار	فيليب بوسان	ت: كرستين يوسف
٣٢٦ المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت: حسن صقر
٣٢٧ مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	ت: توفيق على منصور
٣٢٨ يوسف وزليخا	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت: عبد العزيز بقوش
٣٢٩ رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت: محمد عيد إبراهيم
٣٣٠ كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت: سامى صلاح
٣٣١ عندما جاء السردين	ستيفن جراى	ت: سامية دياب
٣٣٢ القصة القصيرة فى إسبانيا	نخبة	ت: على إبراهيم منوفى
٣٣٣ الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت: بكر عباس
٣٣٤ لقطات من المستقبل	آرثر.س كلارك	ت: مصطفى فهمى
٣٣٥ عصر الشك	ناتالى ساروت	ت: فتحى العشرى
٣٣٦ متون الأهرام	نصوص قديمة	ت: حسن صابر
٣٣٧ فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٣٣٨ نظرات حائرة (وقصص أخرى من الهند)	نخبة	ت: جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩ تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	على أصغر حكمت	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت: فخرى لبيب
٣٤١ قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت: حسن حلمى
٣٤٢ سلامان وأبسال	نور الدين عبدالرحمن بن أحمد	ت: عبد العزيز بقوش
٣٤٣ العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	ت: سمير عبد ربه
٣٤٤ الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	ت: سمير عبد ربه
٣٤٥ الركض خلف الزمن	بونه ندائى	ت: يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦ سحر مصر	رشاد رشدى	ت: جمال الجزيرى
٣٤٧ الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت: بكر الحلو

٣٤٨	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	ت: عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والدرون وآخرون	ت: أحمد عمر شاهين
٣٥٠	بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت: عطية شحاتة
٣٥١	مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت: أحمد الانصارى
٣٥٢	قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت: نعيم عطية
٣٥٣	الفن الإسلامى فى الأندلس (الزخرفة الهندسية)	باسيليو بابون مالدوناند	ت: على إبراهيم منوفى
٣٥٤	الفن الإسلامى فى الأندلس (الزخرفة النباتية)	باسيليو بابون مالدوناند	ت: على إبراهيم منوفى
٣٥٥	التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	ت: محمود سلامة علاوى
٣٥٦	الميراث المر	بول سالم	ت: بدر الرفاعى
٣٥٧	متون هيرميس	نصوص قديمة	ت: عمر الفاروق عمر
٣٥٨	أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت: مصطفى حجازى السيد
٣٥٩	محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت: حبيب الشارونى
٣٦٠	أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت: ليلى الشربينى
٣٦١	التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	ت: عاطف معتمد وأمال شاور
٣٦٢	تلميذ بابنبيرج	هاينرش شبورال	ت: سيد أحمد فتح الله
٣٦٣	حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	ت: صبرى محمد حسن
٣٦٤	حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت: نجلاء أبو عجاج
٣٦٥	سأم باريس	شارل بودلير	ت: محمد أحمد حمد
٣٦٦	نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت: مصطفى محمود محمد
٣٦٧	القلم الجرىء	نخبة	ت: البرّاق عبدالهادى رضا
٣٦٨	المصطلح السردى	جيرالد برنس	ت: عابد خزندار
٣٦٩	المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	ت: فوزية العشماوى
٣٧٠	الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	ت: فاطمة عبدالله محمود
٣٧١	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	ت: عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢	عاش الشباب	وانغ مينغ	ت: وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣	كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	ت: على إبراهيم منوفى
٣٧٤	اليوم السادس	أندريه شديد	ت: حمادة إبراهيم
٣٧٥	الخلود	ميلان كونديرا	ت: خالد أبو اليزيد
٣٧٦	الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت: إدوار الخراط
٣٧٧	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	على أصغر حكمت	ت: محمد علاء الدين منصور
٣٧٨	المسافر	محمد إقبال	ت: يوسف عبدالفتاح فرج
٣٧٩	ملك فى الحديقة	سنيل باث	ت: جمال عبدالرحمن
٣٨٠	حديث عن الخسارة	جونتر جراس	ت: شيرين عبدالسلام
٣٨١	أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	ت: رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢	تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت: أحمد محمد نادى
٣٨٣	هدية الحجاز	محمد إقبال	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤	القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	ت: إيزابيل كمال
٣٨٥	مشترى العشق	محمد على بهزادراد	ت: يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦	دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ت: ريهام حسين إبراهيم

٢٨٧	أغنيات وسوناتات	جون دن	ت: بهاء جاهين
٢٨٨	مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	ت: محمد علاء الدين منصور
٢٨٩	من الأدب الباكستانى المعاصر	نخبة	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٩٠	الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	ت: عثمان مصطفى عثمان
٢٩١	الحافلة الليلكية	مايف بينشى	ت: منى الدروبى
٢٩٢	مقامات ورسائل أندلسية	نخبة	ت: عبداللطيف عبدالحليم
٢٩٣	فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	ت: زينب محمود الخضيرى
٢٩٤	القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	ت: هاشم أحمد محمد
٢٩٥	آلام سياوش	إسماعيل فصيح	ت: سليم حمدان
٢٩٦	السافاك	تقى نجارى راد	ت: محمود سلامة علاوى
٢٩٧	نيتشه	لورانس جين	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٢٩٨	سارتر	فيليب تودى	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٢٩٩	كامى	ديفيد ميروفتس	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠	مومو	مشيائيل إنده	ت: باهر الجوهرى
٤٠١	الرياضيات	زيادون ساردر	ت: ممدوح عبد المنعم
٤٠٢	هوكنج	ج. ب. ماك ايفوى	ت: ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣	ربة المطر والملابس تصنع الناس	تودور شتورم	ت: عماد حسن بكر
٤٠٤	تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ت: ظبية خميس
٤٠٥	إيزابيل	أندريه جيد	ت: حمادة إبراهيم
٤٠٦	المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	ت: جمال عبد الرحمن
٤٠٧	الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	أقلام مختلفة	ت: طلعت شاهين
٤٠٨	معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	ت: عنان الشهاوى
٤٠٩	انتصار السعادة	برتراند راسل	ت: إلهامى عمارة
٤١٠	خلاصة القرن	كارل بوبر	ت: الزواوى بغورة
٤١١	همس من الماضى	جينيفر أكرمان	ت: أحمد مستجير
٤١٢	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	ت: نخبة
٤١٣	أغنيات المنفى	ناظم حكمت	ت: محمد البخارى
٤١٤	الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	ت: أمل الصبان
٤١٥	صورة كوكب	فريدريش دورنيمات	ت: أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦	مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	ت: مصطفى بدوى
٤١٧	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	ت: مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨	سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	ت: عبد الرحمن الشيخ
٤١٩	العصر الذهبى للإسكندرية	جون مايو	ت: نسيم مجلى
٤٢٠	مكرو ميجاس	فولتير	ت: الطيب بن رجب
٤٢١	الولاء والقيادة	روى متحدة	ت: أشرف محمد كيلانى
٤٢٢	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	نخبة	ت: عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	ت: وحيد النقاش
٤٢٤	لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبدالرحمن الجامى	ت: محمد علاء الدين منصور
٤٢٥	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	ت: محمودد سلامة علاوى

٤٢٦ الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	ت: محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧ بانديراس الطاغية	باى إنكلان	ت: ثريا شلبى
٤٢٨ الخزانة الخفية	محمد هوتك	ت: محمد أمان صافى
٤٢٩ هيجل	ليود سبنسر وأندرزجى كروز	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠ كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١ فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢ ماكياڤللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣ جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	ت: حمدى الجابرى
٤٣٤ الرومانسية	دونكان هيث وچودن بورهام	ت: عصام حجازى
٤٣٥ توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ت: ناجى رشوان
٤٣٦ تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧ رحالة هندى فى بلاد الشرق	شبلى النعمانى	ت: جلال السعيد الحفناوى
٤٣٨ بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	ت: عايدة سيف الدولة
٤٣٩ موت المرابى	صدر الدين عينى	ت: محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠ قواعد اللهجات العربية	كرستن بروستاد	ت: محمد طارق الشرقاوى
٤٤١ رب الأشياء الصغيرة	أرونداتى روى	ت: فخرى لبيب
٤٤٢ حتشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ت: ماهر جويجاتى
٤٤٣ اللغة العربية	كيس فرستيغ	ت: محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤ أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	ت: صالح علمانى
٤٤٥ حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	ت: محمد محمد يونس
٤٤٦ التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	ت: أحمد محمود
٤٤٧ نظرية الكم	ج. پ. ماك إيڤوى	ت: ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨ علم نفس التطور	ديلان إيڤانز وأوسكار زاريت	ت: ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩ الحركة النسائية	نخبة	ت: جمال الجزيرى
٤٥٠ ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	ت: جمال الجزيرى
٤٥١ الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	ت: إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢ لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجناترى وأوسكار زاريت	ت: محيى الدين مزيد
٤٥٣ القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	ت: حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤ خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	ت: سوزان خليل
٤٥٥ تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	ت: محمود سيد أحمد
٤٥٦ لا تنبسنى	مريم جعفرى	ت: هويدا عزت محمد
٤٥٧ النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر أوكين	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨ الموريسكيون الأندلسيون	خوليو كارو باروخا	ت: جمال عبد الرحمن
٤٥٩ نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	ت: جلال البنا
٤٦٠ الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١ لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢ طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	ت: عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣ الدولة المارقة	ويليام بلوم	ت: كمال السيد
٤٦٤ ديمقراطية القلة	ميكائيل بارنتى	ت: حصة إبراهيم المنيف

٤٦٥	قصص اليهود	لويس جنزبرج	ت: جمال الرفاعى
٤٦٦	حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	ت: فاطمة محمود
٤٦٧	التفكير السياسى	ستيفين ديلو	ت: ربيع وهبة
٤٦٨	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٤٦٩	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	ت: مجدى عبدالرازق
٤٧٠	الأراضى والجودة البيئية	نخبة	ت: محمد السيد النتة
٤٧١	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	نخبة	ت: عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	ت: سليمان العطار
٤٧٣	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	ت: سليمان العطار
٤٧٤	الأدب والنسوية	بام موريس	ت: سهام عبدالسلام
٤٧٥	صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	ت: عادل هلال عنانى
٤٧٦	أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	ت: سحر توفيق
٤٧٧	تاريخ الصين	هيلدا هوخام	ت: أشرف كيلانى
٤٧٨	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	ت: عبد العزيز حمدى
٤٧٩	المقهـــى (مسرحية صينية)	لاوشه	ت: عبد العزيز حمدى
٤٨٠	تساى ون جى (مسرحية صينية)	كو مو روا	ت: عبد العزيز حمدى
٤٨١	عباءة النبى	روى متحدة	ت: رضوان السيد
٤٨٢	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	ت: فاطمة محمود
٤٨٣	النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	ت: أحمد الشامى
٤٨٤	جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	ت: رشيد بنحدو
٤٨٥	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	ت: عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	ت: سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩	هُسِرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	هُسِرل	ت: محمود رجب
٤٩٠	أسمار الببغاء	محمد قادرى	ت: عبد الوهاب علوب
٤٩١	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	ت: سمير عبد ربه
٤٩٢	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	ت: محمد رفعت عواد
٤٩٣	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	ت: محمد صالح الضالع
٤٩٤	كتاب الموتى (الخروج فى النهار)	نصوص مصرية قديمة	ت: شريف الصيفى
٤٩٥	اللوبى	إدوارد تيفان	ت: حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوانو بانولى	ت: نخبة
٤٩٧	العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلىّ	ت: مصطفى رياض
٤٩٨	النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريويذر	ت: أحمد على بدوى
٤٩٩	تقاطعات: الأمة والمجتمع والجنس	نخبة	ت: فيصل بن خضراء
٥٠٠	فى طفولتى (دراسة فى السيرة الذاتية العربية)	تيتز رووكى	ت: طلعت الشايب
٥٠١	تاريخ النساء فى الغرب	أرثر جولد هامر	ت: سحر فراج
٥٠٢	أصوات بديلة	هدى الصدّة	ت: هالة كمال
٥٠٣	مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة	ت: محمد نور الدين عبدالمنعم

٥٠٤	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	ت: إسماعيل المصدق
٥٠٥	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	ت: إسماعيل المصدق
٥٠٦	ربما كان قديساً	آن تيلر	ت: عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧	سيدة الماضى الجميل	بيتر شيفر	ت: شوقى فهيم
٥٠٨	المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	ت: عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩	الفقر والإحسان فى عهد سلاطين المماليك	آدم صبرة	ت: قاسم عبده قاسم
٥١٠	الأرملة الماكرة	كارلو جولدونى	ت: عبدالرازق عيد
٥١١	كوكب مرقَّع	آن تيلر	ت: عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢	كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	ت: جمال عبد الناصر
٥١٣	العلم الجسور	تيد أنتون	ت: مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤	مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	ت: مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	ت: فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦	إرادة الإنسان فى شفاء الإدمان	أرنولد واشنطون وودونا باوندى	ت: صبرى محمد حسن
٥١٧	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	ت: سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	ت: هاشم أحمد محمد
٥١٩	محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	ت: أحمد الأنصارى
٥٢٠	الولع بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	ت: أمل الصبان
٥٢١	قاموس تراجم مصر الحديثة	أرثر جولد سميث	ت: عبدالوهاب بكر
٥٢٢	إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	ت: على إبراهيم منوفى
٥٢٣	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	ت: على إبراهيم منوفى
٥٢٤	الملك لير	وليم شكسبير	ت: محمد مصطفى بدوى
٥٢٥	موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون رزيفز	ت: نادية رفعت
٥٢٦	علم السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	ت: محيى الدين مزيد
٥٢٧	كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	ت: جمال الجزيرى
٥٢٨	تروتسكى والماركسية	طارق على وفلْ إيفانز	ت: جمال الجزيرى
٥٢٩	بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	ت: حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	ت: عمر الفاروق عمر
٥٣١	ما الذى حَدَثَ فى «حَدَث» ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	ت: صفاء فتحى
٥٣٢	المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	ت: بشير السباعى
٥٣٣	تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	ت: محمد الشرقاوى
٥٣٤	الإسلاميون الجزائريون	سيفرين لابا	ت: حمادة إبراهيم
٥٣٥	مخزن الأسرار	نظامى الكنجوى	ت: عبدالعزيز بقوش
٥٣٦	الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون	ت: شوقى جلال
٥٣٧	للحب والحرية	نخبة	ت: عبدالغفار مكاوى
٥٣٨	النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	ت: محمد الحديدى
٥٣٩	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	ت: محسن مصيلحى
٥٤٠	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	ت: رءوف عباس
٥٤١	هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	ت: مروة رزق
٥٤٢	قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	ت: نعيم عطية

٥٤٣ السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	ت: وفاء عبدالقادر
٥٤٤ ميلانى كلاين	نخبة	ت: حمدى الجابرى
٥٤٥ يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	ت: عزت عامر
٥٤٦ ريموس	ت. ب. وايزمان	ت: توفيق على منصور
٥٤٧ بارت	فيليب ثودى وآن كورس	ت: جمال الجزيرى
٥٤٨ علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	ت: حمدى الجابرى
٥٤٩ علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	ت: جمال الجزيرى
٥٥٠ شكسبير	نيك جروم وبيرو	ت: حمدى الجابرى
٥٥١ الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	ت: سمحة الخولى
٥٥٢ قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	ت: على عبد الروف البمبى
٥٥٣ مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	ت: رجاء ياقوت
٥٥٤ مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	ت: عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥ الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	ت: أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦ چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	ت: حمدى الجابرى
٥٥٧ الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨ الدراسات الثقافية	زيودين ساردارويورين ڤان لون	ت: إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩ الماس الزائف	تشا تشاجى	ت: عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠ صلصلة الجرس	نخبة	ت: جلال السعيد الحفناوى
٥٦١ جناح جبريل	محمد إقبال	ت: جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢ بلايين وبلايين	كارل ساجان	ت: عزت عامر
٥٦٣ ورود الخريف	خاثينتو بينابينتى	ت: صبرى محمدى التهامى
٥٦٤ عُش الغريب	خاثينتو بينابينتى	ت: صبرى محمدى التهامى
٥٦٥ الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا. ج. جيرنر	ت: أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦ تاريخ أوربا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	ت: على السيد على
٥٦٧ الوطن المغتصب	مايكل رايس	ت: إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨ الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	ت: عبد السلام حيدر
٥٦٩ موقع الثقافة	هومى. ك. بابا	ت: ثائر ديب
٥٧٠ دول الخليج الفارسى	سير روبرت هاى	ت: يوسف الشارونى
٥٧١ تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	ت: السيد عبد الظاهر
٥٧٢ الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	ت: كمال السيد
٥٧٣ فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى	ت: جمال الجزيرى
٥٧٤ مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	ت: علاء الدين عبد العزيز السباعى
٥٧٥ الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	ت: أحمد محمود
٥٧٦ فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ت: ناهد العشرى محمد
٥٧٧ مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	ت: محمد قدرى عمارة
٥٧٨ الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	ت: محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩ تشومسكى	چون ماهر وچودى جروتز	ت: محى الدين مزيد
٥٨٠ دائرة المعارف الدولية	جون فيزر وبول سيترجز	ت: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١ الحمقى يموتون	ماريو بوزو	ت: سليم عبد الأمير حمدان

٥٨٢	مرايا الذات	هوشنك كلشيرى	ت: سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣	الجيران	أحمد محمود	ت: سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤	سفر	محمود دولت آبادى	ت: سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥	الأمير احتجاب	هوشنك كلشيرى	ت: سليم عبد الأمير حمدان

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٦٧٦٨ / ٢٠٠٣

هذه الرواية تعد من أشهر أعمال كلشيرى، وقد طبعت حتى الآن عشر مرات، كانت آخرها بعد وفاته سنة ٢٠٠٠. وتعرضت - شأنها شأن غيرها من الأعمال الكبيرة فى الأدب الإيرانى المعاصر - لأهواء الرقيب: فقد جرى إيقاف طبعتها التاسعة، مثلاً، بعد حصولها على إجازة الرقيب، فى مرحلة التجليد، لمدة تسع سنوات !

ومع أن ظاهر القصة يروى انحلال طبقة الأشراف، وهكذا فهمها بقايا أمراء أصفهان الذين اشتكوه إلى وزير البلاط فعمل على «تأديبه»، فإن الكاتب يعتبرها «قصة مسخ البشر.. (بيان) ما يحدث لشخص عندما تضعه فى حدود سجن العائلة، وتقطع كل ارتباطاته بالعالم فترى ما الذى يحدث جزءًا فجزءًا».